المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل لـه، ومن يضلل فلا هادي لـه، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فلما كان التوحيد هو أصل الإسلام ، وهو الفقه الأكبر ألّف فيه كثير من العلماء، فكان من أحسن ما سُبِك في بيانه، كتاب الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - **(كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد)** وقد تلقاه العلماء وطلبة العلم من بعده بالقبول فكان مرتعاً خصباً لدارسته وشرحه وحفظه ، وقد يسّر الله لي أن قمت بشرحه في إذاعة القرآن الكريم من المملكة العربية السعودية وذلك عام 1425هـ على مدار سنة كاملة .

وقد رغب عدد من المستمعين تفريغه في كتاب تعم فيه الفائدة ، وقد ترددت في بداية الأمر، حيث إن شروح هذا الكتاب تعددت وتنوعت ما بين مختصر ومطول، ثم استخرت الله تعالى، ولبّيت الرغبة، إذ أنه بعد التأمل وجدت أن هذا الوقت ليس وقتاً للمطولات، فيحتاج كثير من طلاب العلم وطالباته إلى ما يجمع بعض المسائل والأفكار فيه، فعزمت على إخراجه بعد إعادة ترتيبه وتهذيبه قدر الإمكان، ونهجت فيه منهجاً يجمع شتات مسائله، وذلك بجعل كل باب منه على وقفات ، كل وقفة تحتوي على مسألة من المسائل، أو قضية من القضايا، أو شرح نص، أو بيان غريب، ونحو ذلك مع الحرص على تخريج الأحاديث بعزوها إلى مصادرها، وبيان الحكم عليها دون إطالة تخالف قصد التأليف، مع المحاولة ألا يستشهد في هذا الكتاب إلا بما صح من الأحاديث وكذا عزو الأقوال إلى أصحابها، وكل هذه التعليقات في الحاشية، أما المتن فلأصل الكتاب.

ومما يجدر التنبه إليه أنني أرجع في بيان الغريب إلى عدد من الكتب الشارحة للكتاب، وهي: فتح المجيد، وتيسير العزيز الحميد، وشرح كتاب التوحيد المسمى: القول المفيد للشيخ محمد العثيمين رحمه الله وغيرها، وبناءً على ذلك لا أعزو لهذه المراجع في كل مرة رغبة في الإيجاز وعدم التطويل.

وقد قدمت لهذه التعليقات بتمهيد حاولت فيه تلخيص عناصر التوحيد، وبيان موضوع الكتاب ليسهل استجماعه في الذهن، ويكون أشبه بالخارطة الموضحة لمقاصد الكتاب، ومقاصد موضوعه وهو التوحيد، كما ذكرت نبذة يسيرة عن حياة المؤلف الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب - رحمه

الله - .

وقد اعتمدت في أصل الكتاب على طبعة دار القبس فشكر الله تعالى لهم جهدهم في المساعدة لإخراج الكتاب، وإذنهم ليكون متناً لهذا الشرح.

ثم أشكر كل من بذل فيه جهداً من جمع وتفريغ وغير ذلك حتى وصل إلى ما وصل إليه فجزاهم الله جميعاً خير الجزاء وأثابهم، وأسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الجهد، ويجعله من المدخر يوم نلقاه إنه سميع قريب مجيب.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

كتبه

فالح بن محمد بن فالح الصغير

المشرف العام على موقع شبكة السنة النبوية وعلومها

www. alssunnah.com

25/10/1428هـ

التمهيد

وذكرت فيه العناصر الآتية:

- **مفهوم الإيمان ، وأركانه .**
- **التوحيد وأنواعه ومقتضياته .**
- **ما ينافي الإيمان والتوحيد.**
- **من فضائل التوحيد وثمراته.**
- **الأسباب التي تنمي التوحيد وتقوي الإيمان.**
- **موضوع كتاب التوحيد ومنهجه.**

أولاً: مفهوم الإيمان ، وأركانه:

الإيمان لغة: التصديق.

واصطلاحاً : التصديق بالقلب والقول باللسان والعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

والإيمان يحتوي على ستة أركان وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، قال سبحانه وتعالى: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا**﴾ [1] وجاء في حديث جبريل عليه السلام حينما سأل النبي ﷺ ما الإيمان؟ قال: **(أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)** [2] .

وسوف نتناولها بشيء من التفصيل:

الر كن الأول: الإيمان بالله وهو:

توحيد الله تعالى بربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، وإفراده بهذا التوحيد، وعدم الإشراك به بأي نوع من أنواعه. وهذا الركن هو أصل هذه الأركان. وبيان هذا الركن كما يلي:

أ - توحيد الربوبية:

وهو توحيد الله تعالى بأفعال الرب سبحانه فيقر العبد بأن الله سبحانه هو الخالق الرازق المتصرف، المحيي المميت ، الذي بيده ملكوت كل شيء، يقول للشيء كن فيكون، يعز من يشاء، ويذل من يشاء، قال سبحانه : ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ [3] وقال سبحانه أيضاً: ﴿**قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ**

---

[1] **سورة البقرة، الآية (285).**

[2] **رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان ، برقم (8).**

[3] **سورة الفاتحة، الآيات (1-3).**

السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ [4] .

ب وتوحيد الألوهية:

وهو أن يوحد العبد ربه بأفعال العبد نفسه فلا يعبد إلا الله، ولا يدعوا إلا لله، ولا يستغيث إلا بالله، ولا ينحر إلا لله، ولا يصلي إلا لله ولا يزكي إلا لله، ولا يرجو إلا الله وهكذا ، فيفرده عز وجل بجميع أنواع العبادة، الظاهرة والباطنة، قولاً وعملاً، وأنه سبحانه المستحق لهذه العبادة، كما قال سبحانه: **﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾**[5] وكذلك قوله سبحانه:**﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾**[6] **ولهذا فقد أبطل الله تبارك وتعالى اتخاذ المشركين الآلهة من دونه ببراهين عقلية منها:**

1 - أن أي آلهة دون الله لا تَخلُق، ولا تجلب نفعاً، ولا تدفع ضراً، ولا تملك حياة ولا موتاً، ولهذا قال سبحانه وتعالى: **﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلا حَيَاةً وَلا نُشُوراً﴾** [7].

2 - أن المشركين لما كانوا يقرون بأن الله تبارك وتعالى هو الرب الخالق الذي بيده كل شيء، فإن هذا يستلزم منهم أن يوحدوا العبادة له سبحانه كما وحدوه في الخلق ولهذا قال سبحانه: **﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ * فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾** [8] .

ج - توحيد الأسماء والصفات:

وهو الإيمان بما سمى الله به نفسه في كتابه أو سماه به رسوله ✕ وبما وصف به نفسه وما وصفه به رسوله ✕ .

وإثبات ذلك من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل.

وذلك أن نثبتها لله تبارك وتعالى إثباتاً يليق بجلاله لا يشابهه أحد من خلقه .

فلا نحرف أسماء الله وصفاته عن معانيها، ولا نعطلها وذلك بأن

---

[4] سورة يونس، الآية (31).
[5] سورة الحج، الآية (62).
[6] سورة النساء ، الآية (36) .
[7] سورة الفرقان، الآية (3).
[8] سورة يونس، الآية (31-32).

ننفي المعاني الصحيحة لأسماء الله وصفاته الحسنى ، ولا نكيف صفات الله تبارك وتعالى فلا نعيّن كيفيتها ولا هيئتها التي تكون عليه لأن هذا مما استأثر الله بعلمه، وكذلك لا نمثل الصفات فنشبه صفات الخالق سبحانه بأحد سواه .

ولهذا لما سئل الإمام مالك رحمه الله عن قولـه تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ قال : الاستواء معلوم، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة ، وهكذا يقال في سائر الصفات ، قال تعالى : ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[9] .

وقال سبحانه : ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [10] .

وقد لخص العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - في كتابه (القواعد المثلى) جملة قواعد في أسماء الله وصفاته رأيت أن أذكرها لعظم فائدتها وهي ما يلي:

1 - **أن أسماء الله كلها حسنى** ومتضمنة للكمال الذي لا نقص فيه.

2 - **أسماء الله تعالى توقيفية** من القرآن الكريم والأحاديث النبوية ولا مجال للعقل فيها، فلا يزاد اسماً لم يرد في النصوص الشرعية ولا ينقص ما صحت به النصوص النبوية؛ لأن العقل لا يمكن إدراك ما يستحقه الله سبحانه من الأسماء، وهذا كمال الأدب مع الله سبحانه وقد قال سبحانه في محكم التنزيل: ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾ [11] .

3 - **أن أسماء الله سبحانه وتعالى غير محصورة بعدد معين .**

ودليل هذا ما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه أحمد وغيره أن النبي ﷺ كان يدعو بقوله: (**أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك...**) [12] .

كما أن هناك جملة قواعد في صفات الله تبارك وتعالى ينبغي لطالب العلم معرفتها ومنها:

1 - **أن صفات الله تبارك وتعالى توقيفية** من الكتاب والسنة ، ولا

---

[9] () **سورة الأعراف، الآية (180)**

[10] () **سورة الشورى ، الآية (11).**

[11] () **سورة الأعراف ، الآية (33).**

[12] () **سيأتي تخريجه إن شاء الله في الباب (39).**

مجال للعقل فيها.

2 - **أن صفات الله سبحانه كلها صفات كمال** لا نقص فيها بوجه من الوجوه، ولهذا قال سبحانه : ﴿**لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [13] .

3 - **أن صفات الله سبحانه وتعالى تنقسم إلى قسمين: ثبوتية وسلبية فأما الثبوتية:** فهي ما أثبته الله سبحانه لنفسه أو أثبته على لسان رسوله ✕؛ كالعلم والقدرة والاستواء على العرش والوجه واليدين ، فيجب إثباتها على الوجه اللائق به تبارك وتعالى، وهذا النوع من الصفات صفات مدح وكمال.

وأما الصفات السلبية : فهي ما نفاه الله سبحانه عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ✕ ، كنفي الموت والجهل والنسيان والتعب، فمثل هذه الصفات تُنفى عن الله تبارك وتعالى مع إثبات ضدها ، وذلك لأن ما نفاه الله عن نفسه هو لأجل إثبات كمال ضده لا مجرد النفي، ولأن النفي بذاته ليس كمالاً ، كما لو قيل: إن الجدار لا يظلم .

4 - **الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين ذاتية وفعلية:**

الذاتية: هي التي لم يزل ولا يزال الله سبحانه وتعالى متصفاً بها، ولا تنفك عنه، كصفة العلم والقدرة والسمع والعلو.

وأما الفعلية : فهي التي تتعلق بالمشيئة، فإن شاء الله سبحانه وتعالى فعلها وإن شاء لم يفعلها كالنزول إلى السماء الدنيا .

5 - **أنه يلزم مع إثبات الصفات ترك التمثيل والتكييف:**

لأن الله سبحانه وتعالى يقول:﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [14].

وكذلك قال تبارك وتعالى : ﴿**وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ**﴾ [15] ، وقال: ﴿**وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً**﴾ [16] ولأنه لما عُلم أن هناك تبايناً بين الخالق والمخلوق في الذات فهذا يستلزم أن يكون هناك تبايناً واختلافاً في الصفات، لأن صفة كل موصوف تليق به كما هو ظاهر في صفات المخلوقات، ولذلك فقوة البعير تختلف عن قوة النملة وهما حيوانان، فعليه فلا يجوز بعد ذلك تشبيه صفة الخالق تبارك وتعالى بصفة أحد من المخلوقين، وكذلك يجب ألا نكيِّف صفات الله على هيئة معينة لأننا لم نرَ

---

[13] () **سورة النحل، الآية (60) .**

[14] () **سورة الشورى ، الآية (11).**

[15] () **سورة الإخلاص، الآية (4).**

[16] () **سورة طه، الآية (110).**

هذه الصفات فوجب الوقوف على ما جاء به الشرع .

الركن الثاني : الإيمان بالملائكة وهو:

التصديق بوجودهم وأنهم خُلقوا من نور وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم، وكذلك نؤمن بما علمنا من أسمائهم على التفصيل كجبريل الموكل بالوحي، وميكائيل الموكل بالمطر والنبات ، وإسرافيل الموكل بالنفخ بالصور وغيرهم، وكذلك نؤمن بصفاتهم التي وردت في النصوص الشرعية، كصفة جبريل حينما رآه النبي ﷺ ، وقد سد الأفق وله ستمائة جناح، وقد قال تبارك وتعالى عن الملائكة : ﴿**بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**﴾ [17] .وقال تبارك وتعالى أيضاً : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ**﴾ [18] .

والخلاصة : أن نؤمن بهم وفق ما جاءنا في القرآن الكريم والسنة المطهرة .

الركن الثالث: الإيمان بالكتب:

وهو التصديق بما أنزل الله سبحانه على رسله من الكتب فنؤمن بما ذكر في القرآن والسنة تفصيلاً وبسائر الكتب إجمالاً؛ وأنها من كلامه سبحانه، وكذلك الإيمان بما علمنا من اسمه كالقرآن الكريم، والتوراة التي أنزلت على موسى، والإنجيل الذي أنزل على عيسى، والزبور الذي أنزل على داود وصحف إبراهيم وموسى عليهم السلام أجمعين، وكذلك نؤمن بما لم يسم الله منها ولا نعلمه، وقد قال تعالى في ذلك:﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**﴾ [19] .

وإن أفضلها وخاتمها القرآن الكريم، ولا يجوز العمل بعد نزوله إلا به ، وهو ناسخ لما قبله من الكتب، وأنه الحق الذي لا مرية فيه، ولا يجوز نسخه ، ولا تركه، ولا العمل ببعضه دون بعضه، ولا مساواته مع غيره وأن الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة مترتب على الإيمان به.

الركن الرابع: الإيمان بالرسل :

وهو الإيمان بمن أرسلهم الله إلى خلقه لتبليغ دينه، لأنهم صادقون فيما أخبروا به وأنهم كرام أتقياء وأمناء ، ولا نفرق بين أحد منهم بل نؤمن بهم جميعاً من سماهم الله ومن لم نعلم اسمه ممن تقدم على خاتم النبيين ﷺ .

---

[17] () **سورة الأنبياء، الآية (27).**

[18] () **سورة الأعراف ، الآية (206).**

[19] () **سورة الحديد ، الآية (25).**

وقد أثنى الله سبحانه على نبيه ﷺ بالإيمان بما ذكرناه فقال تعالى : **﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾** [20] .

وإن أفضلهم وخاتمهم هو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب الهاشمي القرشي الذي لا نبي بعده، وأن الرسل أرسلوا إلى أقوامهم خاصة، وأن محمداً عليه الصلاة والسلام أرسل إلى الثقلين كافة (الجن والإنس) بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله وسراجاً منيراً ، وأنه لا يجوز العمل إلا برسالته ، وأن الفلاح في الدنيا والآخرة لمن آمن به .

الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر:

ويتكون بالتصديق الجازم بأن القيامة الكبرى آتية لا محالة وأن الله سبحانه سيخرج الموتى من قبورهم أحياء حين ينفخ في الصور؛ كما قال سبحانه : **﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾** [21] .

ويبدأ اليوم الآخر: من موت الإنسان وما يتعرض لـه في القبر وما بعده من الحشر والنشر إلى استقرار الإنسان في الجنة أو النار.. وما يذكر في ذلك : الإيمان بالجزاء والحساب فيحاسب كل إنسان بما عمل من خير وشر، ولذلك قال سبحانه : **﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾**[22] .

ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالجنة والنار وأنهما مخلوقتان خالدتان، فالجنة للمؤمنين والنار هي دار عذابٍ للكفار ولمن شاء الله دخوله من عصاة المسلمين ولكن العاصي من المسلمين لا يخلد فيها، وقد قال سبحانه إثباتاً لهما: **﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ* وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾** [23] .

ومن أنكر البعث فقد كفر ولهذا قال سبحانه : **﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ**

---

[20] () سورة البقرة، الآية (285).
[21] () سورة المؤمنون، الآية (15-16) .
[22] () سورة الكهف، الآية (49).
[23] () سورة البقرة ، الآية (24-25).

يَسِيرٌ﴾ [24] .

ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بعذاب القبر ونعيمه؛ ولهذا قال النبي ✕ في الحديث الصحيح : **(إن العبد إذا وضع في قبره ... أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل أي النبي ✕ ؟ فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبدالله ورسوله ، فيقال لـه : انظر لمقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً ، وأما المنافق أو الكافر فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال لـه: لا دريت ولا تليت ، ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين)** [25] .

وخلاصة الأمر في الإيمان باليوم الآخر أن يؤمن الإنسان بكل ما أخبر به الله تعالى وأخبر به رسول الله ✕ مما يكون بعد الموت .

الركن السادس: الإيمان بالقدر:

ويكون بالتصديق الجازم بأن الله سبحانه علم مقادير الأشياء وأحوالها قبل وجودها ، ثم كتبها في اللوح المحفوظ، ثم شاءها سبحانه وأوجدها بقدرته وحكمته ، وعلى هذا **يشمل الإيمان بالقدر أربع مراتب:**

<u>المرتبة الأولى:</u> الإيمان بأن الله عالم بكل شيء جملة وتفصيلاً ، وأن علمه سبق خلق الخلق كلهم وعلمهم .

<u>المرتبة الثانية:</u> الإيمان بأن الله كتب ما قدره في اللوح المحفوظ ، ودليل هاتين المرتبتين قولـه تعالى: **﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾** [26] .

<u>المرتبة الثالثة:</u> الإيمان أن جميع الأمور والمخلوقات لا تكون إلا بقدرته ومشيئته سبحانه وتعالى، سواء أكان ذلك مما يتعلق بفعله أو فعل العباد ودليل هذه المرتبة قوله سبحانه: **﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾** [27] وقولـه : **﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾** [28] .

<u>المرتبة الرابعة:</u> الإيمان بأن الله هو خالق كل شيء وموجده، فلا خالق غيره، ولا رب سواه، ودليل هذه المرتبة قولـه تبارك وتعالى: **﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾** [29] .

ومما يشار إليه في الإيمان بالقدر أنه - أي الإيمان بالقدر - لا

---

[24] () سورة التغابن، الآية (7).
[25] () رواه البخاري في كتاب: الجنائز، باب: الميت يسمع خفق النعال، برقم (1273).
[26] () سورة الحج، الآية (70).
[27] () سورة الإنسان، الآية (30).
[28] () سورة القصص، الآية (86).
[29] () سورة الزمر، الآية (62) .

يعارض أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية وأن لـه قدرة عليها، ودليل ذلك قولـه تعالى: ﴿**فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآباً**﴾ [30] ، وقال سبحانه أيضاً ﴿**لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ [31] .

فالإيمان بالقدر لا يمنع الإنسان من العمل، ولا يصح الاتكال عليه، وقد قال النبي ﷺ: **(احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز)** [32] ، ثم إن المشاهد أن لكل إنسان قدرةً ومشيئة في بعض الأفعال فله القدرة على أكل الطعام، وكذلك لـه القدرة على الصلاة والصوم، ولكن بعض الأشياء ليس لـه قدرة عليها كحركة القلب والمعدة، فما كان لـه من القدرة عليه فهو مؤاخذ به ، ولكن هذه القدرة والمشيئة واقعة بعد مشيئة الله وإرادته .

هذه أركان الإيمان ذكرتها موجزة مع بيان بعض المهمات، التي تبنى عليها أهل السنة والجماعة أصولهم عليها، **ومما يذكر في هذه الأصول:**

أن الإيمان اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالجوارح كما سبق في التعريف ودليل ذلك قولـه تعالى : ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ**﴾ [33] . أي صلاتكم إلى بيت المقدس قبل تحويل القبلة، فسمى الصلاة كلها إيماناً وهي تجمع عمل القلب واللسان والجوارح .

ولذا لا يكتفى بمجرد التصديق القلبي، أو العمل دون نطق مع القدرة عليه - ودون تصديق في القلب كما قالت بذلك بعض الطوائف الضالة .

ومن الأصول أيضاً أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية؛ كما قال تبارك وتعالى: ﴿**وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً**﴾ [34] .

ومن أصولهم أيضاً أنهم لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر، فمن ادعى الإسلام وعمل إحدى الكبائر فهو مسلم عاصٍ لله ناقص الإيمان، مالم يثبت بفعل أحد المكفرات ، ودليل ذلك قولـه سبحانه وتعالى فيمن قتل آخر عمداً فصار عليه القصاص : ﴿**فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ [35] فقد سمى الله سبحانه القاتل أخاً

---

[30] () سورة النبأ، الآية (39).
[31] () سورة التكوير ، الآية (28-29).
[32] () رواه مسلم في كتاب: القدر، باب الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله ، برقم (2664).
[33] () سورة البقرة، الآية (143).
[34] () سورة المدثر ، الآية (31).
[35] () سورة البقرة، الآية (178).

للمقتول مع أنه ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب .

ولكن هذا الذنب يستحق العقاب، وعقابه أو العفو عنه راجع إلى مشيئة الله تعالى إن شاء غفر لـه برحمته ، وإن شاء عذبه على قدر معصيته ثم يخرجه من النار .

ومن أصول أهل السنة والجماعة محبة أصحاب النبي ✕ وسلامة قلوبنا وألسنتنا لهم، ونشر فضائلهم، والكف عن مساويهم وما شجر بينهم، والترضي عنهم، قال سبحانه وتعالى: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً**﴾[36] .

وقال ✕ في الحديث الصحيح : **(لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه)** [37] فعلم منه تحريم سب الصحابة رضوان الله، فهم خير القرون وهم مجتهدون فيما فعلوا وليس بمعصومين من الخطأ، فمن اجتهد وأخطأ منهم فله أجر اجتهاده، ومثل هذا القول يقال في زوجات رسول الله ✕ وأهل بيته فقد أثنى عليهم الحق تبارك وتعالى بقوله: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾ [38]

---

[36] () **سورة الفتح، الآية (29).**

[37] () **رواه البخاري في كتاب: فضائل الصحابة ، باب : قولـه ✕ : (لو كنت متخذاً خليلاً) برقم (3470)، ورواه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة ، باب: تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم برقم (2540).**

[38] () **سورة الأحزاب، الآية (33).**

ثانياً: من مقتضيات التوحيد والإيمان:

أن من آمن بالله سبحانه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

يلزمه أن يصوغ حياته كلها وفق هذا الإيمان ومن ذلك :

1 - **أن يقوم بعبادته الظاهرة** من صلاة وزكاة وصيام وحج وغيرها لله سبحانه وتعالى ويحذر من أن يتوجه بها إلى غيره سبحانه .

وكذا العبادات القلبية كالخوف والرجاء والتوكل والاستعانة وغيرها يتوجه بها إلى الله سبحانه وتعالى ويحذر من أن يصرفها لغيره .

2 - **أن يقوم بأعماله في اليوم والليلة من معاملات** كالبيع والشراء والإجارة، والعمل، وكذا معاملاته المنزلية وفق شرع الله تعالى، فيحذر أن يخالف تشريع الله سبحانه وتعالى في أموره المالية فيقع في الربا أو أكل أموال الناس بالباطل ، أو الغش والتدليس والحلف الكاذب وغيرها قال تعالى: **﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** [39] .

3 - **أن تكون أخلاقه وفق هدي الله سبحانه وتعالى** متخذاً النبي ﷺ قدوةً لـه في كل شيء، قال تعالى: **﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾** [40] ، وقال تعالى: **﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾** [41] ، وقال تعالى :

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [42] .

4 - **الخضوع لحكم الله تعالى والرضا بشرعه والتسليم به**، وعدم التحاكم إلى غير حكمه، قال تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾** [43] ، وقال تعالى: **﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾** [44] .

5 - **أن يصوغ حياته الأسرية** في تعامله في بيته ومع أهله ووالديه وأولاده وفق شرع الله سبحانه، قال تعالى في شأن الوالدين: **﴿وَقَضَى**

---

[39] () سورة الأنعام ، الآية (162).
[40] () سورة الأحزاب ، الآية (21).
[41] () سورة القلم، الآية (4).
[42] () سورة آل عمران، آية (159).
[43] () سورة النساء، الآية (59).
[44] () سورة النساء، الآية (65).

رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً [45] ، وقال سبحانه في شأن الأهل: **وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ** [46] وقال النبي ﷺ في معاملته لأهله: **(خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي)** وقال سبحانه في شأن الأسرة جميعاً: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ** [47] .

---

[45] () سورة الإسراء، الآية (23).
[46] () سورة النساء، الآية (19).
[47] () سورة التحريم ، الآية (6).

ثالثاً: مما ينافي الإيمان والتوحيد:

قد وردت عدد من نصوص القرآن والسنة في بيان ما ينافي الإيمان أو يناقضه أو ينافي كماله، ومن هذه النواقض التي دلت عليها تلك النصوص:

1 – **الشرك،** وهو أن يجعل مع الله شريكاً في ربوبية وألوهية فيصرف العبادة أو نوعاً منها لغير الله تعالى كالدعاء والذبح والنذر وغيرها، أو في أسمائه وصفاته. وهذا الشرك أعظم مبطلات الإيمان، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾ [48] وقال تعالى : ﴿**إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ**﴾[49] .

وقد بين أهل العلم أن الشرك قسمان: أكبر مخرج عن الله ، وهو ما ذكر، **وأصغر،** وهو ما يكون وسيلة إلى الشرك الأكبر كالرياء وانحراف مقصد العبادة ، قال عليه الصلاة والسلام : (**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا: وما هو؟ قال ✕ : الرياء)** [50].

2 – **الكفر،** وهو الجحود، والمراد به جحد الإيمان بالله ورسله أو مما جاءوا به، وهو أنواع كما بين العلماء ذلك؛ كفر أكبر مخرج عن الإيمان، وأصغر وهو الكفر العملي، وهي سائر الذنوب والمعاصي مع وجود أصل الإيمان.

3 - **النفاق وهو إظهار الإسلام وإبطان الكفر** قال تعالى عن المنافقين: ﴿**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ**﴾ [51] وهذا يسمى النفاق الاعتقادي، أما النفاق الآخر فيسمى النفاق العملي فهو لا يخرج عن الملة كما جاء في الحديث : (**آية المنافق: إذا حدث كذب، وإذا اؤتمن خان، وإذا وعد أخلف**)[52].

4 - **السحر والكهانة والعرافة** ؛ويجمعها ادعاء علم الغيب والاستعانة بالشياطين في ذلك قال تعالى: ﴿**وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ**﴾ [53] .

وقال عليه الصلاة والسلام : (**من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه فقد**

---

[48] () **سورة النساء ، الآية (48).**

[49] () **سورة المائدة، الآية (72).**

[50] () **يأتي تخريجه إن شاء الله في الباب (3).**

[51] () **سورة البقرة، آية (14).**

[52] () **رواه البخاري في كتاب: الشهادات ، باب: من أمر بإنجاز الوعد، برقم (2485).**

[53] () **سورة البقرة، الآية (102).**

كفر بما أنزل على محمد) [54] .

5 - **الاستهزاء بالله تعالى أو برسوله ﷺ أو بشرعه وحرماته** ، قال تعالى:﴿**قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ* لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ**﴾ [55] .

6- **الحكم بغير ما أنزل الله**، قال تعالى: ﴿**فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾ [56] .

وقال سبحانه : ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ [57] فالحكم بما أنزل الله أمر واجب ، **والحكم بغير ما أنزل الله ثلاث حالات:**

الحالة الأولى: أن يستباح الحكم بغير ما أنزل الله، فهذا كفر مخرج من الإسلام.

الحالة الثانية: ألا يستباح لهذا الأمر ويُرى أنه محرم، وإنما فُعل لشهوة في نفس أو هوى أو بتأويل، فذلك لا يكفر صاحبه، بل هو صاحب كبيرة مثل السارق والزاني اللذان لا يستبيحان فعلهما ويعلمان بتحريمه ولكنهما يفعلان ذلك لشهوة عندهما .

الحالة الثالثة: أن يحكم بغير ما أنزل الله باجتهاد ولكنه لم يصب الحق فهذا مأجور على نيته لقوله ﷺ : (**إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر**) [58] .

7 - **مما ينافي التوحيد أو كماله عامة الذنوب والمعاصي** التي نهى الله سبحانه وتعالى عنها، سواء كانت من الكبائر أو أصر على الصغائر كما جاء في الحديث الصحيح : (**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب**) [59] .

وما جاء في الحديث الآخر : (**اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك**

---

[54] **سيأتي تخريجه إن شاء الله في الباب (25) .**

[55] **سورة التوبة ، الآية (65).**

[56] **سورة النساء ، الآية (65).**

[57] **سورة المائدة، الآية (44).**

[58] **رواه البخاري في كتاب الاعتصام ، باب: أجر الحاكم إذا اجتهد، برقم (6805). وينظر ما كتبه فضيلة الشيخ صالح الفوزان في كتابه (التوحيد وبيان ما يضاده)، وكذلك كتابه: (وجوب التحاكم إلى ما أنزل الله وتحريم التحاكم إلى غيره).**

[59] **رواه مسلم في كتاب: الإيمان ، باب: بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالأعطية ، برقم (154).**

بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات) [60] .

أو ما ذكر الله تعالى فيه وعيداً كالزنا وشرب الخمر والسرقة ، وأكل أموال الناس بالباطل، والتعامل بالربا وعقوق الوالدين ، وقطيعة الأرحام، وغيرها ، فهذه لا شك أنها تقدح إما في أصل التوحيد، وذلك إذا اعتقد حل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله، وإما في كماله وذلك إذا قصّر في الواجبات أو عمل المحرمات مع إقراره بالحكم الشرعي بها .

فعلى العبد أن يحذر تمام الحذر الوقوع في هذه المناقضات والمنافيات لأصل التوحيد أو كماله ، سلمنا الله تعالى وإياكم من الوقوع في المهالك .

---

[60]() يأتي تخريجه إن شاء الله في الباب (23) .

رابعاً: من فضائل التوحيد وثمراته:

لا شك أن الخير كله في الدنيا والآخر مبني على تحقيق الإيمان في القلب، وتعميق التوحيد، فمحقق التوحيد جمع خيري الدنيا والآخرة، ومن ذلك الخير:

1 - **محقق التوحيد يحقق الغاية التي من أجلها خلق الله تعالى الخلق،** وأوجد الثقلين، قال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [61] .

2 - **محقق التوحيد يحقق الغاية التي من أجلها أرسل الله تعالى الرسل،** وأنزل الكتب ، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ [62] ، وقال سبحانه : ﴿**الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ * أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ**﴾ [63] .

3 - **محقق التوحيد يتحقق لـه دخول الجنة والنجاة من النار،** فقد جاء في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: **(فإن الله قد حرّم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله)** [64].

4 - **أن قبول الأعمال متوقف على صحة التوحيد،** ووجود الإيمان في القلب، فمتى كان العبد موحداً قُبِل عمله، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾ [65] وقال سبحانه : ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [66] .

5 - **أن الحياة الطيبة، والعيش السعيد مبني على هذا الإيمان،** قال تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [67] وقال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾[68] .

فهل يعي أصحاب القلق والاكتئاب ، والاضطراب ، وسائر

---

[61] () سورة الذاريات ، الآية (56).
[62] () سورة النحل، الآية (36).
[63] () سورة هود، الآية (1-2) .
[64] () يأتي تخريجه إن شاء الله في الباب الأول.
[65] () سورة المائدة، الآية (27).
[66] () سورة النحل ، الآية (97).
[67] () سورة النحل ، الآية (97).
[68] () سورة الرعد، الآية (28).

الأمراض النفسية هذا المعنى العظيم.

6 - **أن تنفيس الكربات ، وحل الأزمات، وتفريج الهموم والأحزان مبني على هذا الإيمان،** والتوحيد، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ**﴾ [69] .

7 - **أن التوحيد من أسباب سعة الرزق، ورغد العيش،** قال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**﴾ [70] .

وقال تعالى : ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ**﴾ [71] .

وغير ذلك من الآثار العظيمة في الدنيا والآخرة ، فحري بالمسلم أن يجدد توحيده لله سبحانه، وأن يتعاهده ألا يخلق ويصدأ .

---

[69] () **سورة الطلاق، الآية (2-3).**

[70] () **سورة الأعراف، الآية (96).**

[71] () **سورة الطلاق، الآية (2-3).**

خامساً: الأسباب التي تنمي التوحيد وتقوي الإيمان:

لا شك أن عمل كل طاعة ينمي التوحيد ويزيده في القلب سواء كانت فريضة أو نافلة، وسواء كانت عملاً قلبياً أو لسانياً، أو عملاً بالجوارح، ومما يخص بالذكر ما يلي:

1 - **استشعار عظمة الخالق سبحانه وتعالى وقدرته** العظيمة، يقول للشيء كن فيكون، بيده مقاليد الأمور كلها، فإذا استشعر العبد ذلك عظّمه في نفسه ، فأدّى أوامره، واجتنب نواهيه ، ووقف عند حدوده ، يرجو رحمته ، ويخشى عقابه ، ولذلك كثرت الآيات في كتاب الله جل وعلا التي تبين عظمة الله تعالى وقوته، وجبروته، وسعة علمه، وإحاطته بكل شيء.

2 - **القيام بالفرائض من الطاعات،** فهي من أعظم ما يحبه الله جل وعلا من الصلاة والزكاة والصيام والحج وسائر الواجبات، كما جاء في الحديث القدسي : **(وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه...)** [72] الحديث ، ولذا فمن فعل ما يحبه الله تعالى أحبه الله تعالى ، ومن أحبه الله كان من أولياء الله تعالى .

3 - **العمل بالنوافل،** سواء كانت نوافل الصلاة أو الزكاة أو الصيام أو الحج أو العمرة أو غيرها، فكلما زاد العبد من هذه النوافل زاد لـه محبة الله تعالى ، وكان من أوليائه المقربين كما جاء في الحديث القدسي السابق: **(وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به...)** .

4 - **ترك الذنوب والمعاصي التي تكون نقطاً سوداء في قلب المؤمن،** فيضعف إيمانه، وقد حذر الله سبحانه من الوقوع فيها، وتوعد أصحابها بأشد الوعيد.

5 - **العلم الشرعي الذي أعلا الله تعالى مكانته** ، ورفع شأن أهله وجعلهم أهل خشيته قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [73] فالعلم يدل على الله تعالى، ويوصل إلى معرفته فيقوي إيمان صاحبه.

6 - **التفكر في مخلوقات الله تعالى الدالة على عظمته وقدرته،** ولا شك أن من يتدبر خلق الله جل وعلا يدرك عظمته فيعلو إيمانه، ويتعمق توحيده لله سبحانه فالقادر سبحانه على خلق السموات وما فيهن، والأرضين وما فيهن، وما بينهما يعلم أنه الإله المعبود بحق فيعبده حق عبادته .

---

[72] () **رواه البخاري في كتاب: الرقاق ، باب: التواضع برقم (6021).**

[73] () **سورة فاطر ، الآية (28).**

* * *

سادساً: موضوع كتاب التوحيد، ومنهج المؤلف فيه:

كتاب (التوحيد الذي هو حق الله على العبيد) كتاب واضح من عنوانه في موضوعه الذي هو بيان التوحيد، الواجب على جميع العباد حقاً لله سبحانه وتعالى، قسّمه مؤلفه - رحمه الله - إلى أربعة وستين باباً، كل باب يحتوي على مسألة من مسائل التوحيد.

وقبل بيان منهجه التفصيلي، يحسن بنا أن نشير إلى ما سبق بيانه من أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام: **توحيد الربوبية** والذي يعني بتوحيد العبد لربه بأفعال الرب سبحانه وتعالى، وذلك بأن يقر بأن الله تعالى هو الخالق الرازق المتصرف الذي بيده ملكوت كل شيء، يقول للشيء كن فيكون، مالك الملك، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، وقد تكاثرت الأدلة على بيان هذا التوحيد.

والثاني توحيد الألوهية أو توحيد العبادة، وهو توحيد العبد لربه بأفعال العبد نفسه فيتجه في جميع أنواع العبادة كلها لله تعالى فلا يدعو إلا الله ولا يستغيث إلا بالله ولا يصلي إلا لله، ولا يتكل إلا على الله، ولا يزكي إلا لله ولا يلجأ في السراء والضراء إلا إلى الله.. وهكذا متمثلاً قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[74].

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات، فالله تعالى سمى نفسه بأسماء ووصف نفسه بصفات، وهكذا أيضاً رسوله ﷺ سمّى ربه ووصفه بأسماء وصفات.

فيوحد العبد ربه بالإقرار بهذه الأسماء والصفات بأنها لله تعالى ويثبتها كما أثبتها لنفسه تعالى وكما أثبتها لـه رسوله ﷺ كما يليق بجلاله وعظمته مع بيان معانيها دون الدخول بكيفيتها ومن غير تشبيه لـه بخلقه أو تمثيل لـه، ومن غير تعطيل لمعانيها أو إنكارها على حد قوله تعالى : ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [75] .

فالمصنف رحمه الله نظر إلى هذه الأقسام فوجد أن أكثر الخلق يقرون بتوحيد الربوبية حتى كثير من الكفار كما كان من كفار الجاهلية الأولى. بينما وقع الإشكال كلياً أو جزئياً في التوحيد الثاني الذي هو المقصود من خلق الخلق وإرسال الرسل وإنزال الكتب ثم وقع الإشكال في قسم التوحيد الثالث الذي وقعت فيه كثير من الفرق والطوائف .

فالمؤلف رحمه الله ركز في هذا الكتاب على قسم التوحيد الثاني للحاجة الماسة إلى بيانه وتوضيحه بالدليل فجاء بنحو مفصّل مبسط .

---

[74] () **سورة الأنعام، الآية (162).**

[75] () **سورة الشورى، الآية (11).**

والكتاب بعد النظر والتأمل نجد أنه في الجملة على تقسيمات ثلاث:

1 **تقرير التوحيد في بيانه وتفسيره الشهادتين** وفضلهما وآثارهما وهذا أخذ جملة أبواب.

2 **في بيان شيء من مقتضيات هذا التوحيد** على التفصيل كالاستعانة والاستغاثة والخوف والرجاء والمحبة والشكر والصبر وما يتعلق بها . وقد أفاض في بيان هذه المقتضيات بعدة أبواب .

3 **في بيان شيء من نواقض التوحيد،** كالسحر والكهانة والعرافة والتطير والاستهزاء بالله تعالى أو برسوله أو شرعه والحكم بغير ما أنزل الله ، وتقديم طاعة المخلوقين على طاعة الله، واتخاذ القبور مساجد، والإلحاد في أسماء الله تعالى، والحلف بغير الله ونحو ذلك، وقد اشتملت هذه القضايا على عدة أبواب.

فجاء كتاباً فريداً متميزاً في بابه .

أما منهجه في الباب الواحد، فهو يذكر رحمه الله عنواناً لكل باب بما يدل على الباب نفسه كأن يقول : باب فضل التوحيد، أو يذكر آية تدل على موضوع الباب كأن يقول باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿**يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا**﴾ [76] ونحو ذلك.

ثم يذكر ما يتيسر تحت الباب الواحد من الآيات أو الأحاديث الدالة على معناه، ومن النادر جداً أن يذكر شيئاً من كلامه، فيكاد أن يكون الكتاب كله مجموعة من الآيات والأحاديث .

ومن هنا يزداد عجبك عندما تسمع من يقدح فيه وهو بهذه الكيفية فكأن القادح يقدح في القرآن أو السنة .

أما ما يذكر من مسائل الباب بعد كل باب وفيها تلخيص للمسائل المستنبطة من الباب فاختلف أهل العلم هل هي من صنعه أم من صنع من بعده من العلماء؟ وسواء قلنا بهذا الرأي أو ذاك، فهي تلخيص لمسائل كل باب؟

ومن هنا فقد امتاز هذا الكتاب العظيم بجملة ميزات عظمى من أهمها:

1 - **تركيزه على موضوعه وحسن بيانه فيه.**

2 - **تفصيله فيه .**

3 - **وضوحه .**

4- سهولته وعدم تعقيده، وعدم دخوله في علم الكلام ومسائله التي أذهبت نقاوة التوحيد وعكرت صفاءه .

---

[76] () **سورة النحل، الآية (83).**

ولعل هذه الميزات بعد توفيق الله تعالى جعلت لـه القبول منذ تأليفه ، وتوالى أهل العلم على شرحه وبيانه ونشره حتى يومنا الحاضر.

* * *

التعريف بالمؤلف

اسمه ونسبه ومولده:

هو شيخ الإسلام في زمانه محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن مشرف بن الوهب من قبيلة تميم .

وقد ولد الشيخ محمد - رحمه الله - في سنة 1115هـ في بلدة العيينة وهي من قرى نجد ونشأ وترعرع فيها .

طلبه للعلم:

كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب من أسرة عرفت بالعلم، فقد كان أبوه قاضياً في العيينة وحريملاء، وجده سليمان كان من علماء نجد المعروفين وتولى قضاء العيينة أيضاً ، وكذا أعمامه إبراهيم وأحمد، وخاله الشيخ سيف بن محمد بن عزاز.

وقد ساعدت هذه البيئة في ارتباط الشيخ محمد بالعلم والعلماء، فقد حفظ القرآن وهو في العاشرة من عمره، وأخذ مبادئ الفقه الحنبلي من والده . وسافر الشيخ - رحمه الله - لطلب العلم إلى مكة والمدينة والتقى بعلمائهما وأخذ منهم؛ كالمحدث عبدالله بن سالم البصري والشيخ محمد حياة السندي والشيخ عبدالله بن إبراهيم بن سيف .

كما رحل الشيخ إلى العراق وبالتحديد إلى البصرة ولازم عدداً من علمائها، ومنهم الشيخ محمد المجموعي البصري ، كما ذهب الشيخ إلى الأحساء والتقى بالشيخ عبدالله بن محمد بن عبداللطيف الأحسائي.

وقد أخذ الشيخ في رحلاته هذه علوماً عديدة منها: التفسير والحديث وعلوم اللغة العربية، كما استفاد من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى التي تعتمد على الدليل الصحيح وهذا ما زاده علماً وبصيرة وفهماً .

وقد كانت منطقة نجد في زمن الشيخ تعج بكثير من البدع والشركيات، من تعظيم القبور والغلو في الصالحين والنذر لغير الله والاعتقاد في بعض المسميات ، وكان غالب العلماء فيها يشتغلون بالمسائل الفقهية، وكان لجهود الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله الأثر البالغ في إزالة البدع والشركيات واهتمام طلبة العلم بالفقه الأكبر .

وكان اطلاعه رحمه الله على البدع والشركيات في أثناء تنقله لطلب العلم الأثر الكبير في اتجاه الشيخ إلى الدعوة إلى توحيد الله سبحانه وتعالى وإفراده بالعبادة وأن لا يعبد الله إلا بما شرع .

ميزات دعوة الشيخ :

لقد امتازت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - بعدة ميزات كانت سبباً بعد توفيق الله سبحانه لقبول دعوته من عامة الناس، ومن هذه الميزات:

1 - الدعوة إلى توحيد الله سبحانه وإفراده بالربوبية والألوهية وأسمائه وصفاته ، وهذا الأصل الذي ابتدأ به رسول الله ✕ دعوته بمكة، وأن الإله واحد ويجب إفراد العبادة لـه، ولهذا لما أرسل ✕ معاذاً إلى أهل اليمن أمره أن يدعوهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإذا صح التوحيد وكمل صحت سائر فروع الدين، وهذا الأصل ظاهر في مؤلفات الشيخ محمد وفي رسائله ومخاطباته .

2 - أنه اعتمد في دعوته وتأليفه على الوحيين: الكتاب والسنة، فتجد كتبه مليئة بالاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تدعو للتوحيد، وقد تجد الكتاب كاملاً يشتمل على الآيات والأحاديث ككتاب التوحيد، وفيه شيء من حسن الاستنباط والاقتباس والاستدلال لهذه الأبواب التي يعرف المطلع فقه الشيخ وضلعه في العلم.

3 - كما امتازت دعوة الشيخ - رحمه الله - على الوضوح واليُسر، فهي بعيدة كل البعد عن التعقيد والغموض والتكلف، وأن المطلوب هو توحيد الله، وهذه هي دعوة الرسول ✕ يفهمها عامة الناس؟

4 - كما امتازت دعوة الشيخ رحمه الله بالحكمة وحسن العرض وعدم المصادمة مع الناس فعرض دعوته على بعض الأفراد حتى وجد المناخ المناسب ليستقر فيه، وما استخدمت الحكمة في الدعوة إلى الله عز وجل إلا ويكون لها القبول بإذن الله.

تلاميذه:

لقد تتلمذ على الشيخ نخبة من العلماء ، كان لهم جهود واضحة في نجد في الدعاء إلى التوحيد منهم: أبناء الشيخ عبدالله وحسين وعلي وإبراهيم، وحفيده عبدالرحمن بن حسن، والشيخ حمد بن ناصر بن معمر، والشيخ حسين بن غنام، والشيخ عبدالعزيز الحصين، والشيخ عبدالعزيز بن سويلم، والشيخ حسن بن عيدان، وغيرهم كثير .

مؤلفاته:

قد حرص الشيخ - رحمه الله - على التأليف وكذا التهذيب لكتب العلماء، فألف وصنف عدداً منها كان لها القبول بين العلماء ، وقد كان حريصاً على الاختصار والتركيز ، لتقطف ثمارها بأن يسهل حفظها وفهمها، ويترك ما لا ثمرة منه، ومن هذه المؤلفات:

1- كتاب التوحيد، وهذا أشهر كتبه وأنفعها، وهو ما نحن بصدد شرحه .
2- كشف الشبهات.
3- ثلاثة الأصول.
4- مسائل الجاهلية .
5- أحاديث الفتن.
6- الكبائر .
7- مختصر السيرة النبوية .
8- مختصر زاد المعاد.
9- مختصر الإنصاف والشرح الكبير.
10- آداب المشي إلى الصلاة .
11- أصول الإيمان .

وقد حرص العديد من العلماء على شرح هذه الكتب ، واستفاد منها كثير من طلبة العلم، وقد جمعت مؤلفات الشيخ ورسائله في عدة مجلدات، أشرف على جمعها وطباعتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

وفاته:

توفي الشيخ - رحمه الله - سنة 1206هـ بعد مرض ألمّ به لم يمهله طويلاً، وقد رثاه كثير من الشعراء وليس هذا مقام ذكرها، فرحم الله الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأسكنه فسيح جناته، وجمعنا الله وإياه في الفردوس الأعلى، إنه سميع قريب مجيب [77] .

---

[77] () **ينظر: علماء نجد خلال ستة قرون، للشيخ عبدالله البسام (1/25).**

كتاب التوحيد
الذي هو حق الله على العبيد
[الشرح والتعليق]

كتاب التوحيد

وقول اللهِ تعالى: وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات:56].

وقوله: وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ [النحل: 36]. وقوله: ۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ [الإسراء: 23- 24] الآية. وقوله: ۞وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا الآية [النساء: 36].

وقوله: چ ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې
ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى ئى ئى ی
ی ی ئج ئح ئم ئى ئي ٱ ٻ ٻ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ
ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ
ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڍ ڌ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ چالآيات [الأنعام: 151 -153].

قال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: «مَنْ أَرادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلى وَصِيَّةِ مُحَمَّدٍ ✕ الَّتي عَلَيْها خاتمُهُ فَلْيَقْرَأْ قَوْلَهُ تَعالى: ۞قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا إلى قوله تعالى: وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا»[78] الآية [الأنعام: 151-153].

وعن معاذِ بنِ جبلٍ - رضي الله عنه - قال: كُنْتُ رَديفَ النَّبيِّ ✕ على حمارٍ، فَقَالَ لِي: «يَا مُعَاذُ، أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ؟ وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللهِ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «حَقُّ اللهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوه ولا يُشركُوا بِهِ شَيْئاً، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ أَنْ لا يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلاَ أُبَشِّرُ النَّاسَ ؟ قَالَ: «لاَ تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا» أخرجاهُ في الصحيحين[79].

الوقفة الأولى:

لم يذكر المصنف اسماً لهذا الباب وإنما جعله باسم الكتاب نفسه (كتاب التوحيد) ثم ذكر مجموعة من الآيات الدالة على تقرير التوحيد على

---

[78] **تفرد به الترمذي (رقم 3070) وقال: هذا حديث حسن غريب.**

[79] **أخرجه البخاري (رقم 128) ومسلم (رقم 32).**

الناس افتتحها بقوله تعالى: ﴿**وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون**﴾.

وأراد –رحمه الله- من هذا الباب أن يقرر التوحيد بذكر هذه المجموعة من الآيات مع حديث معاذ .

فهذه النصوص وغيرها تفيد أن أول واجب على العبد المكلف هو **توحيد الله تعالى**، فيجب على المكلف أن يؤمن بهذا التوحيد إيماناً عميقاً فهو أول وأهم الواجبات التي تبنى عليها سائر أمور الحياة.

وإذا اعتقد المسلم هذا الاعتقاد وسار عليه فلا شك أن لهذا الاعتقاد آثاراً عليه في الدنيا والآخرة، فمن آثاره في الدنيا: الحياة المطمئنة وفي الآخرة: الوصول إلى الجنة، وإلى رضوان الله سبحانه وتعالى .

ومن مات وكان آخر كلامه ﴿**لا إله إلا الله**﴾ - كما صح في الحديث - دخل الجنة وفي رواية: (**حرم وجهه على النار**)[80] .

الوقفة الثانية : قولـه تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾.

﴿وما خلقت﴾: **الخلق**: هو الإيجاد .

الجن: من الجنة وهي الاستتار، فالجن خلق مستورون لا يراهم الناس، وهم يرون الناس، ولكنهم أيضاً مكلفون .

الإنس: من الاستئناس فيأنس بعضهم ببعض، ولذلك سموا بهذا الاسم .

والطائفة من الناس سواء في زمان أو في مكان يسمون : إنساً.

الطاغوت: في الأصل هو الشيطان ويُعَرفُهُ ابن القيم –رحمه الله – بقوله: (ما جاوز العبد حده من متبوع أو معبود أو مطاع)**.**

(قضى): أوجب وفرض.

(تعالوا): هلموا وأقبلوا .

(أتل): أقرأ وأقص .

الوقفة الثالثة :

عرف شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- العبادة بأنها: (اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة)[81] .

فهي تعم كل شيء مما يحبُّهُ الله جل وعلا سواء كان أمراً كبيراً كالتوحيد أو ما هو أقل من ذلك، وهذا يشير إلى أمور:

الأول: شمولية العبادة لأفعال الإنسان وأقواله، وهذا يفترق فيه ديننا الإسلامي الحنيف عن غيره، فالإسلام لا يفصل بين علاقة الإنسان بالله جل

---

[80] () **يأتي تخريجه في الباب الأول.**

[81] () كتاب العبودية (1).

وعلا وبين سلوكياته الأخرى فهي كلها من عبادة الله جل وعلا .

الثاني: يبين لنا المفهوم الخاطئ الذي يظنه بعض الناس من الفصل بين علاقة الإنسان بربه تعالى وبين أمور الحياة كلها ويظن أن الدين والعبادة مقتصرة على أركان الإسلام، أما الباقي فليس من شأن العبادة، وهذا مفهوم خاطئ فالصحيح كما ذكر في الأمر الأول أن العبادة شاملة لحياة الإنسان سواء كانت هذه الحياة حياة فردية بمعنى سلوك الإنسان الفردي أو السلوك الجماعي الذي هو سلوك لنظام حياة الناس بعضهم مع بعض ومنها: الحياة المالية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية كلها داخلة في العبادة في دين الله عز وجل .

وجاء توضيح هذا المعنى في نصوص كثيرة منها أن الرسول ﷺ يحدث الصحابة عن هذا المعنى فقال عليه الصلاة والسلام: (**وفي بضع أحدكم صدقة**) فقالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون لـه فيها أجر ؟ قال: (**أرأيتم إن وضعها في حرام أكان عليه وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر**) [82].

فالمقصود أن المسلم بهذا المفهوم يحتسب الأجر من الله تعالى في كل عمل يقوم فيه في هذه الحياة وهذا من فضل الله عز وجل وهذه هي العبادة.

والفرق بين العبادة وتوحيد العبادة أن توحيد العبادة هو توجيه هذه العبادة لله عز وجل والخضوع لـه سبحانه وتعالى، فإذا أرادها لله وغيره أخلّ بهذا التوحيد أما العبادة فهي الفعل نفسه.

الوقفة الرابعة :

قولـه تعالى: ﴿**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه**﴾ .

(قضى) هنا بمعنى أوجب وألزم وفرض .

والقضاء بالنسبة لله تعالى يأتي بمعنيين:

<u>الأول:</u> القضاء الشرعي بمعنى شرع هذا الأمر .

<u>الثاني:</u> الكوني القدري .

والفرق بينهما: أن القضاء الكوني القدري متحقق الوقوع لا محالة، مثل قضاء الله سبحانه وتعالى بأن السموات سبع وبأن الشمس ساطعة تطلع شرقاً وتغيب غرباً .

وأما القضاء الشرعي فقد يقع وقد لا يقع، مثل حكم الله سبحانه وتعالى بأن الربا حرام، ومع ذلك نجد بعض الناس يتعامل به مع أنه محرم . فهو راجع إلى استجابة العبد.

---

[82]() رواه مسلم في كتاب: الزكاة باب: بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف برقم "1006".

الوقفة الخامسة :

قوله تعالى: ﴿**قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم**﴾ .

هذه الآية يسميها بعض أهل العلم بآية الوصايا؛ لأنها اشتملت والآية التي بعدها على عشر وصايا .

قال الله سبحانه وتعالى فيها: ﴿**قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم**﴾، يقول للرسول الله ﷺ : قل يا محمد للناس: أقبلوا لكي أقرأ عليكم ما حرمه ربكم جل وعلا لأجل أن تجتنبوه .

وأشد هذه المحرمات الشرك بالله جل وعلا وهذا موضع الشاهد . وهو هنا يعم الشرك الأكبر المخرج عن الملة والشرك الأصغر ولو كان يسيراً .

فهذا أعظم المحرمات وأشد المنهيات وأهم ما يجب على الإنسان الحذر منه.

ثم ذكر الله سبحانه وتعالى مجموعة وصايا في هذه الآية التي تشمل الإحسان إلى الوالدين، وعدم قتل الأولاد، والابتعاد عن الفواحش، وكذلك تحريم قتل النفس التي حَرَّمها الله إلا بالحق، وعدم قرب مال اليتيم الذي مات أبوه وخلف لـه شيئاً من المال، ووجوب إيفاء الكيل والميزان، والبعد عن بخس الناس حقوقهم العدل في القول، والوفاء بالعهد، وخَتَمَ الله هذه الوصايا بالسير على الطريق المستقيم، بأن يجب على المسلم أن يسير على المنهج الذي أراده الله تعالى وبعث به محمداً ﷺ .

والشاهد من هذه الآية:

بيان الله سبحانه وتعالى أن أعظم المحرمات هو الشرك بالله سبحانه وتعالى؛ فمن لازم تحقيق العبودية لله تعالى الحذر من هذا الشرك.

الوقفة السادسة :

الشرك نوعان:

الأول: شرك مخرج عن الملة وهو الشرك الأكبر وهو أنواع مثل: صرف العبادة لغير الله، أو التوسل بغير الله تعالى قاصداً هذه العبادة بهذا التوسل . وكعبادة القبور والأشجار والأصنام وغيرها.

الثاني: شرك أصغر، وذلك مثل يسير الرياء وسمي أصغر بالنسبة للأكبر، وإلا فهو من أكبر الكبائر والضابط في هذا الشرك أنه وسيلة إلى الشرك الأكبر مثل: يسير الرياء والفرق بينهما أن الأكبر يخرج صاحبه من الملة، وهو خالد مخلد في النار، ويعامل في الدنيا معاملة الكافر، أما الأصغر فليس مخرجاً من الملة وتحت مشيئة الله تعالى إن شاء غفر له أو عذبه بقدر معصيته، ويعامل في الدنيا معاملة المسلمين.

الوقفة السابعة :

ذكر المصنف - رحمه الله - حديث معاذ .

ومعاذ بن جبل من فقهاء الصحابة، أرسله النبي ﷺ إلى أهل اليمن ليعلمهم ويرشدهم ويدعوهم إلى هذا الدين .

- يقول معاذ (كنت رديف النبي ﷺ على حمار) وهذا فيه دلالة على تواضع النبي ﷺ حيث يركب هذه الدابة ويردف معه شخصاً آخر من الصحابة .
- فقال لي : (**يا معاذ: أتدري ما حق الله على العباد وحق العباد على الله ؟**)

هذا فيه إشارة إلى استغلال الفرص في التربية ، فالرسول ﷺ يستغل هذه الفرصة مع معاذ ليوصل له أعظم المهمات في هذه الدنيا، فيوجه لـه هذا السؤال : "أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله"؟ .

يقول: قلت: الله ورسوله أعلم، فمعاذ هنا نسب العلم إلى الله وإلى رسوله ﷺ تواضعاً منه وطلباً للفائدة؛ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يسأله هذا السؤال إلا ليوصل له فائدة مهمة كبيرة، فقال: (**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً**) .

قال هنا: (حق) والحق يطلق على الواجب والمتأكد على المسلم أن يقوم به، فحق الله يعني ما يجب لله جل وعلا على عباده وهو أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً فيتوجهوا بأقوالهم وأفعالهم الظاهرة والباطنة لـه سبحانه وتعالى، وأن يمشوا على المنهاج الذي أراده لله سبحانه وتعالى كما قال تعالى: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**﴾[83] .

- قال: (**وحق العباد على الله**) هنا سؤال، هل للعباد حق على الله ؟

لا ليس للعباد حق على الله، إنما هذا من باب التفضل والإكرام والمنة والنعمة من الله سبحانه وتعالى أن من يقوم بعبادة الله وعدم الإشراك به يستحق أن يمنح بأن لا يعذبه الله في الآخرة، فلا يعذب من لا يشرك به شيئاً، وهذه منحة من الله سبحانه وتعالى وجائزة عظيمة بل أعظم جائزة يستحقها المسلم بهذه العبادة .

فوجه الشاهد من هذا الحديث: هو التأكيد على حق الله جل وعلا، وهذا الحق هو عبادة الله وعدم الإشراك به .

---

[83] () سورة المائدة ، الآية(3)

- قال معاذ: "أفلا أبشر الناس؟" يستأذن من النبي ﷺ ، فقال النبي ﷺ لا تبشرهم فيتكلوا عن العمل، ولكن معاذاً ﷺ أخبر بهذا الحديث عند موته تأثماً بعدما خشي من الإثم بعدم البلاغ وعدم إيصال هذا العلم إلى الناس .

الوقفة السابعة :

وخلاصة ما ورد في هذا الباب من تقرير التوحيد هو:

أولاً: أن الحكمة من خلق الإنسان والجن هي عبادة الله سبحانه وتعالى.

ثانياً: أن هذه الحكمة أيضاً هي الحكمة من إرسال الرسل.

الثالث: أن هذه الحكمة التي من أجلها خلق الناس وأرسل الرسل هي أعظم الواجبات على الإنسان في هذه الدنيا .

رابعاً: التلازم بين عبادة الله جل وعلا وترك عبادة غيره، فمن لازمها اجتناب الطاغوت بمعنى عدم الشرك بالله تعالى وعدم صرف النية في هذه الأعمال لغير الله جل وعلا .

خامساً: معرفة أن لله سبحانه وتعالى حقاً على الناس، هذا الحق يتمثل في عبوديته الله جل وعلا وعدم الشرك به سبحانه وتعالى .

سادساً: أن من قام بحق الله سبحانه وتعالى فله النجاة يوم القيامة، وهذا تفضل من الله سبحانه وتعالى .

بهذه النقاط الست جمع ما أراده المصنف –رحمه الله- من تقرير هذا الموضوع الذي افتتح به هذا الكتاب .

*** *** ***

1- بابُ
فَضْلِ التَّوْحِيدِ وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ

وقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: "ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾" [الأنعام:82]

عن عبادةَ بنِ الصامِتِ - رضي اللهُ عنه - قال: قال رسولُ اللهِ ✕ : «مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ. وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُه وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ»[84] أخرجاه. ولهما في حديث عِتْبانَ: «**فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْه اللهِ**»[85].

وَعَنْ أَبِي سعيدٍ الخُدريِّ – رضي اللهُ عنه -: عن رسول الله ✕ قالَ: «قالَ مُوسى: يَا رَبِّ عَلِّمْني شَيْئاً أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ. قَالَ: قُلْ يَا مُوسَى: لا إِلَه إِلاَّ اللهُ، قال: يَا رَبِّ كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا، قَالَ: يَا مُوسَى لَوْ أَنَّ السَّمواتِ السَّبْعَ وَعامِرَهُنَّ غَيْري، والأَرَضينَ السَّبْعَ في كفَّةٍ، وَلا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ في كِفَّةٍ، مَالَتْ بِهِنَّ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ»[86] رواه ابنُ حِبَّانَ والحاكِمُ وصَحَّحه. وللترمذيِّ وحسَّنه عَنْ أنسٍ – رضي اللهُ عنه - سمعتُ رسولَ اللهِ ✕ يقولُ: «قَالَ اللهُ تَعالى: يا ابن آدَمَ، لَوْ أَتَيْتَني بِقُرابِ الأَرْضِ خَطايَا ثُمَّ لَقِيتَني لا تُشْرِكُ بي شَيْئاً لأَتَيْتُكَ بِقُرابِها مَغْفِرَةً»[87].

الوقفة الأولى:

في بيان الغريب من الألفاظ التي وردت في نصوص الباب.

(ولم يلبسوا): ولم يخلطوا.

(ألقاها إلى مريم): أي وجهها إلى مريم .

(وروح منه): أي صار جسده عليه السلام بالكلمة فنفخت فيه هذه

---

[84]() أخرجه البخاري (رقم 3435) ومسلم (رقم 28).

[85]() أخرجه البخاري (رقم 425) ومسلم (رقم 33/263) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

[86]() أخرجه أبو يعلى (رقم 1393) والحاكم (1/528-529) وأبو نعيم في الحلية (8/327-328) والنسائي في عمل اليوم والليلة (رقم 834) . وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (11/208): أخرج النسائي بسند صحيح عن أبي سعيد عن النبي ✕ : «قال موسى: يا رب... » وذكر الحديث.

[87]() أخرجه الترمذي (رقم 3540) والدارمي (رقم 2791) وأحمد (5/172) وحسنه الألباني في صحيح الجامع وفي السلسلة الصحيحة (رقم 127). وأخرج مسلم بلفظ: «يقول الله عز وجل: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد. ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر. ومن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً. ومن أتاني يمشي أتيته هرولة. ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً لقيته بمثلها مغفرة» أخرجه مسلم (رقم 2687).

الروح وهي من الله .
(أدخله الله الجنة): دخول الجنة إما دخول لا يسبقه عذاب، أو دخول يسبقه عذاب في النار لمن أنقص العمل الصالح وأكثر من السيئات.
(مالت): رجحت.
(عامرهن): ساكنهن.
(بقراب الأرض): أي ما يقاربها .
(خطايا): جمع خطيئة وهي الذنب.
الوقفة الثانية :
ذكر المصنف هذا الباب بعد ذكر التوحيد وأهميته ووجوبه على الخلق ليبين عظم فضل هذا الواجب الذي من قام به استحق الجنة، وأنقذ من النار فلا يخلد فيها.
بدأ بقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾ **[الأنعام:82].**
لما نزلت هذه الآية شق ذلك على الصحابة فقالوا: أينا لم يظلم نفسه ؟ فقال النبي ﷺ إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿**يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ [لقمان:13] إنما هو الشرك.
فالظلم ثلاثة أنواع:
1 - **أظلم الظلم** أن يشرك الإنسان مع الله غيره في العبادة؛ كأن يدعو مع الله أو يدعو غير الله؛ فيطلب من صاحب قبر أن يرزقه أو يحل مصيبته وغير ذلك مما هو من الشرك . هو المراد من الآية .
2 - **ظلم الإنسان نفسه** بأن يصوم فلا يفطر أو يقوم فلا ينام، ويدخل في هذا أن يظلم نفسه بالذنوب والمعاصي . وهذا مراد الصحابة.
3 - **ظلم الإنسان لغيره** بالاعتداء عليه بالقتل أو أخذ المال بغير وجه حق.
والمقصود في الآية هو النوع الأول، ويشمل النوع الثاني بالتبعية وعليه فيجب أن يتنبه المسلم للابتعاد عن هذا الظلم العظيم.
الوقفة الثالثة : "لا إله إلا الله" معناها وفضلها وشروطها.
معنى لا إله إلا الله، لا معبود بحق إلا الله فالإله هو المعبود المطاع كما قاله ابن تيمية رحمه الله ولابد من تقييد المعبود بكلمة (حق) لأن المعبودات سوى الله كثيرة لكن المعبود بحق هو الله سبحانه.
ويظهر في هذا خطأ من قال: معنى الإله الخالق، فيجعل معنى لا إله إلا الله أي لا خالق إلا الله، وهذا في الحقيقة جزءٌ من معنى لا إله إلا الله، بل لو كان هذا المراد منها لكان كفار و مشركو مكة مؤمنين لأنهم يعترفون أن

الله هو الخالق، ولكن المعنى الصحيح هو ما سبق ذكره .

وقد جاء في فضلها نصوص كثيرة ذكر المصنف رحمه الله بعضاً منها، وأورد هنا بعض ما ورد في فضلها، فمنها قول النبي ﷺ : (فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله).

ومنها حديث صاحب البطاقة حيث رجحت كفة الميزان التي فيها البطاقة ، وهي الشهادتان ، بالكفة التي فيها تسع وتسعون سجلاً من السيئات [88] ، وفي حديث الشفاعة ، أن الله يأمر أن يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال دينار من إيمان [89] .

وأما شروطها فأولها: العلم بمعناها، واليقين بها، وأن يخلص لله بها، والصدق في قولها، والمحبة لها، والانقياد لما تقتضيه، والقبول بأن يتقبل كل ما جاء من أمر الله ويعمل به.

الوقفة الرابعة :

حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال النبي ﷺ قال موسى : **"يا رب علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به"** الحديث.

قول موسى : **"يا رب كل عبادك يقولون هذا"** المراد من قولـه أن يريد من الله أن يعلمه ذكراً يخصه به كما جاء في بعض روايات الحديث وليس المراد أنها كلمة هينة. وكيف تكون كذلك، وهو النبي المرسل، بل من أولي العزم من الرسل.

وهذا الحديث يدل دلالة عظيمة على فضل هذه الكلمة لأن الله سبحانه وتعالى أجاب موسى عليه السلام بهذه الإجابة القوية المتضمنة أن (لا إله إلا الله) ترجح بالسموات السبع والأرضين السبع.

الوقفة الخامسة:

دل حديث أنس ﷺ على عدة أمور مهمة منها:

1- أن من مقتضى: لا إله إلا الله. عدم الشرك بالله عز وجل لأنه قال: ثم لقيتني لا تشرك به شيئاً.

2- أن من أسباب معفرة الله تعالى لذنوب العبد قول: لا إله إلا الله، بشروطها ومنها: عدم الشرك بالله عز وجل. ولو كانت هذه الذنوب ملء الأرض.

3- سعة فضل الله تعالى ورحمته بعباده أن جعل التوحيد سبباً لمغفرة

---

[88] () رواه الترمذي في كتاب: الإيمان، باب: ما جاء فيمن يموت وهو يشهد ألا إله إلا الله، برقم (2563)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم (135).

[89] () رواه البخاري في كتاب: التوحيد، باب: قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾، برقم (6886).

الذنوب ولو كانت كثيرة.

2 ـ بَابُ مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ؛ دَخَلَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: "إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ" [النحل:120]. وقال: "وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾" [المؤمنون: 59].

عن حُصينِ بنِ عبدِ الرحمنِ قال: كنتُ عندَ سعيدِ بنِ جُبيرٍ فقالَ: أَيُّكُمْ رَأَى الكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَّ الْبَارِحَةَ؟ فَقُلْتُ: أنا ثُمَّ قُلْتُ: أمَا إنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلاةٍ، وَلَكِنِّي لُدِغْتُ، قَالَ: فَما صَنَعْتَ؟ قُلتُ: ارْتَقَيْتُ. قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلى ذَلِكَ؟ قُلْتُ: حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيُّ. قَالَ: وَما حَدَّثَكُمْ؟ قُلْتُ: حَدَّثَنا عَنْ بُرَيْدَةَ بنِ الحُصَيْبِ أَنَّهُ قَالَ: «لاَ رُقْيَةَ إلاَّ مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ»[90]. قالَ: قَدْ أحْسَنَ مَن انْتَهَى إلى ما سَمِعَ وَلَكِنْ حَدَّثنا ابنُ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبي ✕ أَنَّهُ قَالَ: «عُرِضَتْ عَليَّ الأُمَمُ، فَرَأَيتُ النَّبيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ، والنَّبي وَمَعَهُ الرَّجُلُ والرَّجُلانِ، والنَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ. إِذْ رُفِعَ لي سَوَادٌ عَظيمٌ،فَظَنَنْتُ أَنهُمْ أُمَّتِي، فَقيلَ لِي: هَذَا مُوسَى وقَوْمُهُ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفَاً يَدْخُلُونَ الجَنةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلا عَذَابٍ». ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ، فَخَاضَ النَّاسُ في أُولَئِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ الله ✕ ، وَقَالَ بَعْضُهُم: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا في الإِسْلامِ، فَلَمْ يُشْرِكُوا باللهِ شيئاً، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ، فَخَرَجَ عليهم رَسُولُ اللهِ ✕ فأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: «هُمُ الَّذينَ لا يَسْترقُونَ، وَلا يَكْتَوُونَ، وَلا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يتوكلون». فَقَامَ عُكَّاشَةُ بنُ

---

[90]() أخرجه مسلم بهذا اللفظ عن بريدة موقوفاً (رقم220) وابن ماجه (رقم 3513). وأخرجه أبو داود عن عمران (رقم 3884) والترمذي (رقم 2057) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم 7496). وأخرجه البخاري موقوفًا على عمران (رقم 5705).
قال ابن الأثير رحمه الله في النهاية (1/446): الحُمة بالتخفيف: السُّمُّ وقد يشدد، وأنكره الأزهري، ويطلق على إبرة العقرب للمجاورة، لأن السَّم منها يخرج، وأصلها حُمَوٌ أو حُمَىٌ بوزن صُرَد، والهاء فيها عِوَض من الواو المحذوفة أو الياء.

مِحْصَنٍ فَقَالَ: «ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُم». فقالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ»، ثُمَّ قامَ رَجُلٌ آخَرُ فقَالَ: ادْعُ اللهَ أن يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ.فقَالَ: «سَبَقَكَ بها عُكَّاشةُ»[91].

الوقفة الأولى:

في بيان الألفاظ التي جاءت في هذا الباب :

(أمة): إماماً.

(القنوت): دوام الطاعة.

(حنيف): أي مائل عن الشرك.

(إلا من عين): وتسمى بالنفس أو الحسد وهي نظرة من حاسد تؤثر على المصاب.

(حُمة): بضم الحاء وفتح الميم وهي كل ذات سم أي لدغته إحدى ذوات السموم.

(الرهط): من الثلاثة إلى التسعة.

(سبعون ألفاً): قد يكون العدد مراداً فلا يدخل الجنة بلا حساب ولا عذاب إلا سبعون ألفاً، وقد يكون غير مراد ويكون المقصود المبالغة في الكثرة ولعله الأرجح.

(لا يسترقون): أي لا يطلبون الرقية من أحد.

(لا يتطيرون): مأخوذة من الطير والمراد أنهم لا يتشاومون بالطير أو بغيرها .

الوقفة الثانية:

أورد المؤلف هذا الباب مكملاً للباب السابق، فهو لماّ ذكر فضل التوحيد وأنه يكفّر السيئات بيّن في هذا الباب أن من حقّق التوحيد دخل الجنة بغير حساب.

الوقفة الثالثة:

أورد المؤلف آيتين تدلان على تحقيق التوحيد فالآية الأولى وهي قوله تعالى: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [النحل:120].

عدّد الله فيها صفات إبراهيم نبيه وخليله عليه السلام بأنه قانت مداوم للعبادة والطاعة وحنيف: مائل عن الشرك وأكد ذلك بقوله: (ولم يك من المشركين) أي لم يكن مشركاً لا في القول ولا في الفعل .

والآية الثانية : ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ**﴾ [المؤمنون:59]

---

[91]() أخرجه البخاري (رقم 5705) ومسلم (رقم 220).

.

ذكر فيها شيئاً من صفات المؤمنين ومنها أنهم يجتنبون الشرك بجميع أنواعه الأصغر منه والأكبر، ولا يعني هذا أنهم لا يقعون في المعاصي ولكن إذا عصوا تابوا إلى الله وأنابوا ورجعوا عن ذنوبهم .

الوقفة الرابعة: مع حديث الباب ودلالته على تحقيق التوحيد :

رأى النبي ✕ رؤيا في المنام - ورؤيا الأنبياء وحيٌ - فيمن يدخلون الجنة حتى رفع لـه سواد عظيم فظن أنهم أمته فقيل لـه: هذا موسى وقومه، ثم رأى سواداً عظيماً فقيل لـه: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، ثم دخل منزله، فخاض الناس في معرفة من هم هؤلاء؟ فلما خرج عليهم أخبرهم بأنهم هم: الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون؛ فلا يطلبون من أحد أن يرقيهم أو يكويهم، ولا يتشاءمون بالطير أو بغيرها، ونالوا هذا الفضل وهو دخول الجنة بغير حساب لأنهم - اعتمدوا على الله حق الاعتماد وتوكلوا عليه حق التوكل وهذا هو تحقيق التوحيد .

الوقفة الخامسة :

أخبر النبي ✕ في حديث الباب أن السبعين ألفاً (لا يسترقون) أي لا يطلبون من أحد أن يرقيهم، فهم كاملوا التوكل بخلاف من يذهب ويطلب الرقية عند الرقاة ويطلب الدواء عندهم فلو صدق في توكله على الله لكانت رقيته لنفسه تكفيه عن سؤال الناس أن يرقوه، ولا يفهم من هذا أن الإنسان يمنع الناس أن يرقوه ولكن لا يطلبها منهم، فالنبي ✕ كان يرقي نفسه، ورقته عائشة رضي الله عنها، ورقاه جبريل عليه السلام، ولكن لم يسألهم ذلك.

الوقفة السادسة:

المتأمل في هذا الحديث يجد فيه صبراً ومواساة للدعاة في سبيل الله إذ أن الله يبعث الأنبياء إلى أقوامهم ويوحي إليهم، ومع هذا قد يستجيب لدعوته رجل أو رجلان، بل قد لا يستجيب لـه أحد، فعلى الداعية ألا يكسل ولا يترك عمله في الدعوة إلى الله إذا رأى إعراض الناس عنه وعن دعوته، ثم عليه أن يفتش نفسه إن كانت مقصرة في حق الله فليقمها على طاعته، ثم ينظر إلى طريقته في الدعوة هل هي مناسبة للناس أو لا، وعليه أيضاً أن يعمل الأسباب الأخرى التي تعينه على عمله في هذه الدعوة، فإن أعرض الناس بعد ذلك ولم يستجيبوا فليفوض الأمر إلى الله، وليعلم أن هناك من هو خير منه ولم يُستجب لدعوته . ويؤكد هنا على عدم الغرور من الداعية وذلك بعدم مراجعته نفسه ولا طريقته، بل يراجع نفسه

ويحاسبها ويستشير غيره ممن هو أعلا منه علماً وخبرة وتجربة والله من وراء القصد.

الوقفة السابعة:

هذا الحديث يدل دلالة واضحة على بعث المنافسة بين المؤمنين لكي يصلوا إلى هذه المرتبة العظيمة بأن يدخلوا الجنة بغير حساب ولا عذاب، فعلى المسلم الحق أن ينظر في العوامل التي ذكرها النبي ﷺ من أجل الحصول على هذه الميزة العظيمة فيجتهد في العمل بها ، والقرآن والسنة مليئان بالنصوص التي تدل على أهمية هذه المنافسة وأن العبد يجب أن يخوض غمارها ولا يغتر بعمله القليل، قال تعالى: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُم**﴾ [92] ، وقال : ﴿**وَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ**﴾ [93] ، وقال سبحانه: ﴿**وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ**﴾ [94] وغيرها كثير.

3 - بـــابُ الخَوفِ مِنَ الشِّرْكِ

وقولِ اللهِ عزَّ وجلَّ: "إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ" [النساء: 48، 116]. وقالَ الخليلُ عليه السلامُ: "وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ" [إبراهيم: 35].

وفي الحديثِ: «أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغرُ» فَسُئِلَ عَنْهُ فَقَالَ:

---

[92] () سورة آل عمران ، الآية (133).

[93] () سورة البقرة، الآية (148).

[94] () سورة الواقعة ، الآية (10) .

«الرِّيَاءُ»[95]. وَعَنِ ابنِ مسعودٍ - رضي اللهُ عنه -: أن رَسُولَ اللهِ ✕ قالَ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو من دون الله نِدًّا دَخَلَ النَّارَ»[96] «رواهُ البخاريُّ». ولمسلمٍ عَنْ جابرٍ رَضي اللهُ عنه: أنَّ رَسُولَ اللهِ ✕ قالَ: «مَنْ لَقِيَ اللهَ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ النَّارَ»[97].

الوقفة الأولى:

شرح مفردات الباب:

(الأصنام): جمع صنم وهو ما يكون منحوتاً على هيئة إنسان أو حيوان ونحوهما وعُبد من دون الله، وأما التمثال فهو ما يصنع مشابهاً لخلق الله من ذوات الأرواح وإن لم يُعبد، وأما الوثن: فهو ما عبد من دون الله تعالى سواء كان صنماً أو غيره، ويدل عليه قوله ✕ : (**اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد**)[98] .

الرياء: مأخوذ من الرؤية أي المشاهدة، وهو أن يعمل الإنسان شيئاً من العبادات التي شرعها الله سبحانه لغيره تبارك وتعالى، ومن أجل أن يراه أحد الأشخاص.

والفرق بين الرياء والنفاق أن الرياء إظهار للطاعة مع إبطان

---

[95]() أخرجه الإمام أحمد (5/428، 429) والطبراني في معجمه الكبير (2/253 رقم 4301).

[96]() أخرجه البخاري (رقم 4497) ولفظه عن عبد الله قال النبي ✕ كلمة، وقلت أخرى، قال النبي ✕: «من مات وهو يدعو من دون الله ندًّا دخل النار» وقلت أنا: من مات وهو لا يدعو لله ندًّا دخل الجنة.

[97]() أخرجه مسلم (رقم 93/152).

[98]() يأتي تخريجه في الباب العشرين.

المعصية ولا يلزم كونه مشركاً خارجاً عن الملة، أما النفاق فهو إظهار الإسلام وإبطان الكفر والعياذ بالله.

(الند): الشبيه والمثيل.

الوقفة الثانية:

أورد المؤلف رحمه الله هذا الباب في التحذير من الشرك بعد أن أورد في الأبواب السابقة أهمية توحيد الله وفضله، لأن المسلم إذا لم يعرف الشر فقد يقع فيه، ولهذا كان حذيفة بن اليمان يسأل النبي ✕ عن الشر مخافة الوقوع فيه.

الوقفة الثالثة:

لقد ذكر العلماء أن الشرك نوعان: شرك أكبر، وشرك أصغر.

النوع الأول: الشرك الأكبر هو أن يجعل لله شريكاً في العبادة. أو أن يعبد غيره سبحانه كأن يدعو مع الله غيره أو يحب أحداً كحب الله أو يصرف شيئاً من العبادة لغيره سبحانه، وهذا النوع مخرج من الإسلام محبط للعمل ولا يغفر لصاحب هذا الشرك إذا مات من غير توبة إلى الله سبحانه، ودليل ذلك الآية الأولى التي ذكرها المؤلف، وهي قوله تعالى"إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ" [النساء: 48، 116] ، وكذلك حديث ابن مسعود الذي ذكره، أما سائر المعاصي غير الشرك فهي تحت مشيئة الله إن شاء غفر للمذنب فيها وإن شاء عذبه.

النوع الثاني: الشرك الأصغر فهو كما جاء في حديث الباب أنه الرياء والمقصود يسيره، فإن صرف كامل العبادة لأحد الخلق فهذا مشرك شركاً أكبر، وهذا مثال، أما ضابطه فهو ما كان وسيلة إلى الشرك الأكبر، والشرك الأصغر لا يخرج من الملة .

وقد اختلف العلماء رحمهم الله هل يغفر لصاحبه إذا مات ولم يتب منه أم أنه لا يغفر له بل يعذب عليه، ولكن صاحبه غير مخلد في النار لأنه لا يخرج من الملة على قولين لأهل العلم، والصواب – والله أعلم – أنه تحت مشيئة الله إن شاء غفر له بمنه وكرمه وإن شاء عذبه بقدر معصيته. وهذا النوع من أخطر الأنواع على الصالحين لسهولة الوقوع فيه، أما المسرف على نفسه بالمعاصي فلا يؤتى من هذا الجانب غالباً لبعده عن الأعمال الصالحة، ولهذا كان النبي ✕ يخاف على أصحابه رضي الله عنهم ثم على أمته من هذا النوع.

الوقفة الرابعة:

لا شك أن الشرك بالله هو أعظم الذنوب وأقبحها، ولهذا لما سئل

النبي ✕ عن أعظم الذنوب قال: (**أن تجعل لله ندا وهو خلقك**)[99] .

وإنما صار كذلك لعدة أمور منها:

1) **أنه أظلم الظلم** ولهذا قال تبارك وتعالى: **(إِنَّ الشِرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)**[100] وقال سبحانه أيضاً: **(ثمَ الذينَ كَفَروا بربِّهم يَعدِلونَ)** [101] ووجه ذلك: أنه تنقيص لرب العالمين تعالى وتقدس، وصرف أمر خالص له سبحانه لغيره.

2) **أنه مخالفة لأمره سبحانه في مقصود خلق الناس وهو العبادة،** كما قال تبارك وتعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [102] وفيه استكبار عن طاعته والذل له والانقياد لأوامره وترك ما نهى عنه سبحانه.

3) **أن الشرك تشبيه للخالق بالمخلوق تعالى وتقدس سبحانه.**

فالله هو الذي لـه مطلق النفع والضر، وهو الرزاق ذو القوة، ويمنع من يشاء بحكمته، ومصرف الأمور كيف يشاء، فهو الذي يجب أن تتعلق به النفوس فيكون الدعاء والخوف الرجاء والتوكل وسائر العبادات لـه سبحانه. ومن صرف شيئاً من ذلك لأحد غير الله فقد صيره نداً وشريكاً لله تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً[103] .

ولهذا كان الصالحون يخافون على أنفسهم من الوقوع في الشرك لعلمهم بخطره كما قال إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام: ﴿**واجنُبني وبَنيّ أن نعبُد الأصنَامَ** ﴾ [104] وبين الخليل سبب ذلك بقوله: ﴿ **رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ**﴾[105] .

الوقفة الخامسة:

إذا وقع الرياء من مسلم فهل يحبط كل عمله أم جُزءاً من أجره؟ وجواب ذلك : إن العمل إذا خالطه شيء من الرياء فلا يخلو من حالتين:

الحالة الأولى: أن يكون الرياء في أصل العبادة، بمعنى أن الباعث والسبب في عمله الرياء ولم يعمل هذه القربة إلا لأجل أن يراه أحد من الخلق، فهذا النوع يبطل العبادة ولا تقبل منه، ودليله قول النبي ✕ : (**أنا**

---

[99] () رواه البخاري في كتاب : التفسير، باب: قوله تعالى (فلا تجعلوا لله أندادا) ، برقم (4477).

[100] () سورة لقمان، الآية (13).

[101] () سورة الأنعام، الآية (1).

[102] () سورة الذاريات، الآية (56).

[103] () انظر: تيسير العزيز الحميد (88).

[104] () سورة إبراهيم، الآية (35).

[105] () سورة إبراهيم، الآية (36).

أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه)[106] .

الحالة الثانية: أن يطرأ الرياء على العبادة، بمعنى أن يكون باعثاً هذه القربة لله عز وجل ابتغاء مرضاته دون سواه ثم يطرأ عليها الرياء وهذا لا يخلو من أمرين:

إما أن يدافعه ما استطاع، فهذا لا يضر عبادته بشيء والشيطان حريص على الوسوسة للمسلم ولو قيل بفساد العبادة بمجرد خاطر الرياء الذي يدافعه المسلم ما استطاع فإن ذلك يوقع حرجاً عليه.

أما إذا لم يقم المسلم بمدافعة الرياء واسترسل معه وركن إليه واستسلم له فهذا على قسمين:

القسم الأول: أن يكون آخر العبادة مبنياً على أولها بحيث لا يصح أولها مع فساد آخرها مثل من قام يصلي العصر وأثناء صلاته طرأ عليه الرياء واسترسل معه ولم يدافعه ففي هذه الحالة تبطل كامل العبادة.

القسم الثاني: أن يكون آخر العبادة منفصلاً عن أولها بحيث يصح أولها وإن فسد آخرها مثل قراءة القرآن فيصح ما كان خالصاً لله ويبطل ما خالطه الرياء [107] .

نسأل الله تعالى السلامة والعافية من كل سوء.

---

[106] () سبق تخريجه .

[107] () ينظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (1/117).

4- بابُ الدُّعَاءِ إلى شَهَادَةِ لاَ إلهَ إلاَّ الله

وقولِ اللهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: 108] .

عَنِ ابنِ عَباسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ رسولَ الله ✕ لمَّا بَعَثَ معاذاً إلى اليمنِ قَالَ: «إِنَّكَ تَأْتي قَوْماً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لا إله إلاَّ الله» وفي رواية: «إلى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ. فإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَواتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ. فَإِنْ هُم أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ. فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ»[108]. أخرجاه.

ولهُمَا عَنْ سهلِ بنِ سعدٍ ﷺ: أَنَّ رسولَ اللهِ ✕ قالَ يومَ خيبرَ: «لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَداً رَجُلاً يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَه ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ»، فَباتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا؟ فَلَمَّا أَصْبَحوا غَدَوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ✕ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلَيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ ؟» فَقِيلَ: هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قال: فَأَرْسلُوا إِلَيْهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ ، وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ فَقَالَ: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُم إِلى الإِسْلامِ. وأَخْبِرْهُمْ بِما يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ تَعَالَى فِيهِ، فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِي اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»[109].

يَدُوكُونَ أي: يَخُوضُونَ.

الوقفة الأولى:
في شرح بعض كلمات هذا الباب منها:

(سبيلي): أي طريقي ودعوتي، والمشار إليه هو النبي ✕ .

---

[108]() أخرجه البخاري (رقم 1395) ومسلم (رقم19).

[109]() أخرجه البخاري (رقم 2942) ومسلم (رقم 2406).

(بصيرة): أي على علم بها أدعوا إليه.
(كرائم الأموال): أحسن المال وأنفعه وأكثره ثمناً.
(الراية): العَلَم الذي يُتخذ علامة للجيش.
(يدوكون): أي يخوضون ويتحدثون.
(أنفذ على رسلك): أي اذهب على مهلك من غير عجلة.
(حمر النعم): هي الإبل ذات اللون الأحمر، وهي أثمن الإبل عند العرب في ذلك الوقت.

الوقفة الثانية:

أورد المصنف - رحمه الله – هذا الباب بعد أن بدأ بذكر التوحيد وفضله وما يوجب الخوف من ضده، فناسب هنا أن يذكر الدعوة إليه، فمن عرف ذلك فلا بد من دعوة الناس إلى هذا الأمر الهام، ولهذا قال سبحانه وتعالى في سورة العصر: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ [110].

الوقفة الثالثة:

في الآية الأولى التي أوردها المصنف إشارة إلى أهمية الدعوة إلى التوحيد، فيقول سبحانه لنبيه ﷺ : قل يا محمد للناس عامة أن طريقتي وسنتي وهي التي أدعوا بها إلى شهادة ألا إله إلا الله وإفراده بالعبادة هي دعوةٌ على علم وبصيرة ويقين بصحتها، وهذه طريقتي وطريقة من اتبعني، وأننا ننزه الله سبحانه من أن يكون لـه شريك في العبادة، كما ننـزهه من كل ما ينافي التوحيد.

ومن هذه الآية يمكن استخلاص عدة فوائد منها:

1) أن تكون دعوة المسلم لغيره خالصة لله عز وجل، فإن كانت لحظ دنيوي فلا تقبل؛ لأن من شرط صحة العمل الإخلاص لله سبحانه وتعالى، وأن تكون وفق ما جاء به الشرع فلا يدعى إلى بدعة أو أمر لم يأتِ به الشرع.

2) أن الدعوة إلى التوحيد لا تكون إلا بعلم وفهم من الداعية، فلو بدأ بالدعوة قبل العلم فسيوقع غيره بالجهل، لهذا قال ابن تيمية - رحمه الله - : ينبغي لمن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر أن يكون فقيهاً فيما يأمر به وفيما ينهى عنه، رفيقاً فيما يأمر به وفيما ينهى عنه، حليماً فيما يأمر به وفيما ينهى عنه [111].

3) فضل الدعوة إلى توحيد الله سبحانه والإخلاص لـه فيها فهي

---

[110] () سورة العصر، الآيات (1-3).
[111] () ينظر: مجموع الفتاوى (8/98)

طريقة النبي ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم ومن اتبعهم من الصالحين.

الوقفة الرابعة:

لقد أرسل النبي ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن سنة 10هـ ومكث فيها والياً وقاضياً حتى قدم في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وذهب إلى الشام ومات هناك. وأوصاه ﷺ بعدة وصايا في هذا الحديث العظيم الجامع، الذي استند عليه كثير من العلماء في تقرير مسائل عقدية وفقهية ومن تلك الفوائد التي اشتمل عليها هذا الحديث:

1) **أن شهادة ألا إله إلا الله وتوحيده سبحانه هي أوجب الواجبات وأولها** والمدخل إلى الإسلام، ولا يبدأ إلا بها كما في دعوة الأنبياء كافة، قال تبارك وتعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾[112] فمن لم يوحد الله وأشرك معه فهو كافر فلا تقبل منه العبادات، قال ابن تيمية - رحمه الله - : وقد عُلِم بالاضطرار من دين الرسول ﷺ واتفقت الأمة أن أصل الإسلام، وأول ما يؤمر به الخلق شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وبذلك يصير الكافر مسلماً، وإذا لم يتكلم مع القدرة فهو كافر[113].

2) **أن الداعية ينبغي أن يكون على علم بحال المدعو**، فدعوة من عنده علم ليس كدعوة الجاهل، فالأول من يجادل بالأدلة فيحتاج لمقارعة ذلك بالحجة والبرهان بالتي هي أحسن، ويعرف قبل ذلك الشبهة التي يطرحونها ليجيب عليها.

3) **البدأ بالدعوة بالأهم فالأهم**، فلا تأمر الكافر بالصلاة حتى يدخل في الإسلام، وكذلك لا تأمر شخصاً أن يعفي لحيته وهو لا يصلي، بل يبدأ الداعي بالتدرج مقدماً الأهم على المهم.

4) **أنه لا بد لدخول الإسلام من النطق بالشهادتين.**

5) **أن من امتنع من أداء الزكاة فيجب على ولي الأمر أن يخرجها منه جبراً عنه**، ولا تعطى إلا للمحتاج.

6) **أنه لا يجوز للإمام أو نائبه الذي يجبي الزكاة أن يأخذ أنفس الأموال** من المزكي ليعطيه للفقير، بل يأخذ من الوسط، إلا إذا طابت بذلك نفس المزكي وأراد زيادة الخير.

7) **تحريم الظلم بجميع صوره في الإسلام**، وعظم خطر دعوة المظلوم على الظالم فدعوته مستجابة ولو كان المظلوم فاسقاً أو كافراً[114].

---

[112] () **سورة النحل، الآية (36).**

[113] () **ينظر: درء تعارض العقل والنقل (8/4)**

[114] () **ينظر ما كتبته حول هذا الحديث مفصلاً في كتاب: حديث بعث معاذ إلى اليمن ، نشر دار**

الوقفة الخامسة:

المستقرئ للنصوص الشرعية في الدعوة إلى الله يجد أنها كثيراً ما تشير إلى التزام الداعي بالخلق وحسن العرض في الدعوة، ومن هذه النصوص قول الحق سبحانه: ﭽ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ[115] ، وكذلك قوله ✕ لمعاذ وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما لما بعثهما إلى اليمن : **(يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا)**[116] .

ولما بال الأعرابي في المسجد ونهره الناس وأغلظوا عليه قال ✕ : **(إنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين)**[117] .

ثم إن الناظر في الواقع الحالي يجد أن حسن التعامل ولطف المعشر له أثر كبير في قبول الدعوة، ولذا نجد أن كثيراً من البلدان الإسلامية دخل أهلها في الإسلام دون حرب بل بحسن الخلق والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

ولعل بعض من يكون فظاً غليظاً في الدعوة لا يجد قبولاً، ولكن الداعي حينما يستشعر أهمية الدعوة سيوطن نفسه على الحلم وتحمل الأذى والصبر وكظم الغيظ.

الوقفة السادسة:

إن الداعي إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة والناهي عن البدع والشركيات، الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر قد يعتريه بعض الفتور والملل، لا سيما إن لم تظهر الثمرات العاجلة لعمله، ولعل ورود بعض النصوص الشرعية التي تثني على الداعي وتبين أجره، يسليه ويزيد من همته وعمله **ومن هذه الفضائل**:

1) **دعاء النبي ✕ للداعي** فقد جاء في الحديث المتواتر: **(نضّر الله امرءاً سمع مقالتي فبلّغها، فربّ حامل فقه غير فقيه، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه)**[118] ومعنى (نضر الله): أي دعاء له بالنعمة والنضارة والنور.

ابن الأثير.

[115] () سورة النحل، الآية (125).

[116] () رواه البخاري في كتاب: الجهاد واليسر. باب: ما يكره من التنازع و الاختلاق في الحرب، برقم (2811)، ورواه مسلم في كتاب: الجهاد ، باب: في الأمر بالتيسير، برقم: (3263).

[117] () رواه البخاري في كتاب: الوضوء، باب: صب الماء على البول في المسجد برقم: (213).

[118] () رواه ابن ماجه في مقدمة سننه ، باب: من بلغ علما برقم: (226). وروى نحوه أحمد في مسند جبير بن مطعم برقم (16153)، ورواه الحاكم في المستدرك برقم (269) وقال :هو على شرط الشيخين،وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه برقم (230) .

2) **الثواب الكبير لمن اهتدى على يده شخص** كما في حديث علي ﷺ الذي ذكره المصنف.
3) **استمرار أجر الداعي حتى بعد موته** سواء أكانت دعوته بنشر علم أو بتعليم الناس، كما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: **(إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له)**[119] .
4) روى أبو أمامة الباهلي ﷺ أن النبي ﷺ قال: **(إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر يصلون على معلم الناس الخير)**[120].

الوقفة السابعة:

ذكر المصنف - رحمه الله – حديث سهل بن سعد ﷺ عام خيبر سنة 7هـ حيث كان هناك عهد بين النبي ﷺ وبين اليهود على ترك القتال، ولكن اليهود نقضوا هذا العهد حينما حضر كفار قريش لغزوة الأحزاب، ثم لما كانوا كذلك لم يكن لهم صلح فغزا النبي ﷺ خيبراً - المدينة التي كان يسكنها اليهود -، فلما نزل قريباً منهم قال النبي ﷺ هذا الحديث: **(لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه)**.

وفي هذا الحديث جملة من الفوائد منها:

1) **إثبات صفة المحبة لله عز وجل** إثباتاً يليق بالله عز وجل لا يشابهه أحد من الخلق، ونثبت هذه الصفة من غير تعطيل لها ولا تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه على حد قوله سبحانه: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ [121].
2) **فضيلة علي بن أبي طالب** ﷺ ، وأنه تام الاتباع ومحب لله ورسوله ﷺ وأن الله ورسوله ﷺ يحبانه، وهذا الحديث جاء في فضيلة علي ﷺ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية.
3) **حرص النبي ﷺ على تبليغ الدعوة،** والنصح لأمته وأن يبدأ الداعي بالأهم فالأهم كما سبق.
4) **حرص الصحابة رضوان الله عليهم على الخير،** فقد باتوا وهم يتحدثون من سيعطى راية الحرب، وأيهم سيأخذها رغم المسؤولية

---

[119] () رواه مسلم في كتاب: الوصية، باب: ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته برقم: (3084).
[120] () رواه الترمذي في كتاب: العلم، باب: فضل الفقه على العبادة، برقم: (2609).
[121] () سورة الشورى، الآية (11).

الكبيرة على حاملها والخطر الذي قد يواجهه أكثر من غيره، ولذا جاء عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه في هذا الموطن: (ما تمنيت الإمارة إلا يومئذ) رغبة في أخذ هذا الفضل وهو محبة الله ورسوله ﷺ له.

5) **أن النبي ﷺ أخبرهم بفتح خيبر** وهذا علَم من أعلام النبوة، أطلعه الله سبحانه وتعالى على هذا الأمر الغيبي، كما أن شفاء علي بن أبي طالب ﷺ على يد النبي ﷺ بأمر الله عز وجل من الآيات الدالة على صدق رسول الله ﷺ في رسالته.

6) **رفق النبي ﷺ وحسن خلقه** وذلك بتفقد أصحابه وألا يشق عليهم في السير المتواصل السريع الذي يرهقهم.

7) **مشروعية الدعوة إلى الله عز وجل قبل القتال،** فهدف المسلم والداعية إيصال الحق للناس عامة وأن يدخلوا الإسلام، لا الطمع الدنيوي وأخذ الأموال والغنائم. ومن هذا يتبين أن القتال ليس مقصوداً لذاته.

5- بابُ تَفْسِيرِ التَّوْحِيدِ وَشَهَادَةِ أَنْ لا إِلهَ إِلا اللهُ

وقولِ اللهِ تَعَالى: ﴿أَقْرَبُ أَيُّهُمْ ٱلْوَسِيلَةَ رَبِّهِمُ إِلَىٰ يَبْتَغُونَ يَدْعُونَ ٱلَّذِينَ أُوْلَٰٓئِكَ مَحْذُورًا كَانَ رَبِّكَ عَذَابَ إِنَّ عَذَابَهُۥ ۚ وَيَخَافُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَرْجُونَ﴾ [الإسراء: 57].

وقول الله تعالى: ﴿چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں چ﴾[الزخرف: 26- 28].

وقولِهِ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهِ دُونِ مِّن أَرْبَابًا وَرُهْبَٰنَهُمْ أَحْبَارَهُمْ ٱتَّخَذُوٓاْ﴾ الآية [التوبة: 31].

وقولِهِ تَعَالَى: ﴿كَحُبِّ يُحِبُّونَهُمْ أَندَادًا ٱللَّهِ دُونِ مِن يَتَّخِذُ مَن ٱلنَّاسِ وَمِنَ لِلَّهِ ۗ حُبًّا أَشَدُّ ءَامَنُوٓاْ وَٱلَّذِينَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:165].

وفي الصحيحِ عَنِ النبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: (مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وكفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلى اللهِ عزَّ وَجَلَّ)[122].

---

[122]() **أخرجه مسلم (رقم23).**

الوقفة الأولى :

شرح مفردات هذا الباب:

(يدعون): يعبدون.

(يبتغون) : يطلبون.

(الوسيلة): التوصل إلى الشيء برغبة .

(براء): متبرئ مما يعبدون من الأصنام والأوثان .

(فطرني): خلقني وهو الله تعالى.

(يهدين): يبصرني طريق الحق فأسلكه .

(الأنداد) : الأمثال والنظراء والأشباه .

الوقفة الثانية:

هذا الباب هو نتيجة للأبواب السابقة التي ذكرها المصنف، حيث ذكر في الأبواب السابقة وجوب التوحيد وبيان حقيقته وأنه الحق الأعظم على جميع العبيد، وفضل هذا التوحيد، وآثاره العظيمة والحميدة، وأن : الموحد مآله إلى الجنة، كما ذكر الخوف من ضد التوحيد، ثم ذكر أهمية الدعوة إلى توحيد الله عز وجل، ثم ذكر في هذا الباب تفسير التوحيد، ومعنى شهادة أن لا إله إلا الله، فهذا الباب هو عبارة عن نقلة للأبواب الأخرى القادمة، حيث سيفسر التوحيد تفسيراً دقيقاً، ثم سيذكر في الأبواب الأخرى التي بعده شيئاً من مقتضيات التوحيد، وشيئاً من مناقضات التوحيد، ففي هذا الباب فسر التوحيد تفسيراً إجمالياً، ثم يفسر مقتضاه تفسيراً تفصيلياً في الأبواب التي تليه .

الوقفة الثالثة:

إن على الإنسان أن يعبد من بيده الأمر والنهي وهو الله سبحانه

وتعالى، فلذلك يجب على الإنسان أن يسخر عبادته لـه فلا يعبد من كان ناقصاً، وكل المخلوقين فيهم نقص، وهم محتاجون إلى الله عز وجل، حتى ولو كانوا من أفاضل المخلوقين كالملائكة والأنبياء وصالحي البشر فهم بحاجة إلى الله سبحانه وتعالى .

ولذا قال سبحانه : ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ**﴾ [123] فالمعبودون هنا هم من الذين يُعبدون الله سبحانه يرجون رحمته ويخافون عذابه، مثل الملائكة وصالحي الجن ومثل عيسى عليه السلام، فهؤلاء هم ممن يعبد الله سبحانه وتعالى، وأولئك المشركون يعبدون هؤلاء الذين هم من عباد الله عز وجل فلا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، وهم يرجون رحمة الله ويخافون عذابه .

الوقفة الرابعة :

التوحيد لله عز وجل لابد لـه من ركنين أساسيين :

الأول: هو عبادة الله جل وعلا وحده لأنه هو الخالق الرازق المتصرف بشؤون الكون كله.

الثاني: البراءة من الشرك وأهله مهما كان هذا المعبود فلابد أن يتبرأ الإنسان منه فلا يعبده مع الله عز وجل .

وهذا معنى لا إله إلا الله، وهو العامل الأساس والمشترك الكبير بين دعوات الأنبياء والرسل عليهم السلام .

ولذا قال الخليل عليه السلام وهو الذي أتى بالحنيفية السمحة: **(إنني براء)** يعني بريء وتارك ومبتعد لما تعبدون **(إلا الذي خلقني)** فهو الذي بيده تصريف الأمور كلها، وبناء على هذا فقد فسر لنا التوحيد من خلال هذه الآية، فإنه لابد من عبادة الله تعالى ونفي عبادة ما سواه جل وعلا .

الوقفة الخامسة :

إن التحليل والتحريم مصدره من عند الله عز وجل ومن عند رسوله ﷺ ، فلا حلال إلا ما أحله الله ولا حرام إلا ما حرمه الله عز وجل، فلا يجوز لأحدٍ بأي حال من الأحوال أن يقول: هذا حلال وهذا حرام إلا أن يكون مبنياً على دليل من الكتاب والسنة صادراً عن الله عز وجل أو عن رسوله ﷺ، فمن فعل شيئاً غير ذلك كأن حَرَّم حلالاً أو أحل حراماً بدون دليل فقد شابه اليهود والنصارى، فاليهود والنصارى اتخذوا علماءهم أرباباً مع أن اليهود والنصارى يقولون: نحن لا نعبدهم، لكن الله سبحانه وتعالى، ذكر هنا أنهم اتخذوهم أرباباً، والرب: هو المشرع الذي يجب أن يُعبَد، فهم

---

[123] () **سورة الإسراء ، الآية (57).**

اتخذوهم مشرعين يحلون ويحرمون فيحلون ما حرم الله ويحرمون ما أحل الله سبحانه وتعالى، فبناء على طاعتهم كانوا لهم أرباباً ويعني ذلك أنهم عبدوهم من دون الله .

وكذلك اتخذ النصارى المسيح ابن مريم رباً مع الله عز وجل؛ لأن النصارى يقولون: إن الله ثالث ثلاثة؛ الأب والابن والأم هي مريم عليها السلام، فجعلوا عيسى عليه الصلاة والسلام رباً مع الله عز وجل، فهم بهذا ذكرهم الله عز وجل أنهم مشركون لأنه قال: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [124] فدل هذا على أن عملهم شرك بالله جل وعلا، وهو منافٍ للتوحيد، والتوحيد يُبنى على عبادة الله عز وجل، فاليهود والنصارى جمعوا بين تحريف توراتهم وإنجيلهم وبين تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله، وهم أيضاً أشركوا مع الله؛ لأن النصارى قالوا: إن الله ثالث ثلاثة واليهود قالوا: عزير ابن الله، وكل هذا شرك مناف للتوحيد والعياذ بالله .

الوقفة السادسة :

إن محبة العبد لله يجب أن تكون أعلى المحاب، ثم محبة رسول الله ✕، ثم محبة البشر من والد وولد وغيرهما.

وإذا كانت محبة الرسول ✕ لا يجوز أن يقدم عليها غيرها مثل ما قال الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ : والله إنك يا رسول الله أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال: **(لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك، فقال: يا رسول الله حتى من نفسي قال: الآن يا عمر)** [125] .

فدل هذا على أن محبة رسول الله ✕ يجب أن تعلو المحاب كلها، وأعلى منها محبة الله عز وجل، ولذلك أورد المصنف - رحمه الله - هذه الآية : ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ**﴾ [126] يبين أن من التوحيد أن تكون محبة الله جل وعلا أعلى المحاب، بل هي أعلى درجات العبودية لله جل وعلا، فإذا وصل المسلم إلى هذه الدرجة فقد وصل إلى أعلى درجات العبودية .

ومن خالف ذلك فقد ظلم نفسه واستحق العذاب الشديد، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ**

---

[124] () **سورة التوبة، الآية (31).**

[125] () **رواه البخاري في كتاب: الأيمان والنذور ، باب كيف كانت يمين النبي ✕ ، برقم (6257).**

[126] () **سورة البقرة ، الآية (165).**

الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ، فالذين ساووا محبة غير الله بمحبة الله عز وجل يستحقون العذاب الشديد كما أشار الله سبحانه وتعالى في هذه الآية .

وقد يصل الإنسان بحبه لإنسان آخر إلى درجة محبة الله عز وجل بحيث لو أمره بمعصية لفعل هذه المعصية، فهذا وصل إلى درجة حب الله الذي لـه الأمر والنهي . ومن هنا يجب أن يحذر العاشقون والمولعون بأحبابهم من الوصول إلى هذه الدرجة فيخلوا في توحيدهم لله عز وجل إخلالاً عظيماً قد يصل إلى الشرك والعياذ بالله.

الوقفة السابعة:

إن من حقق التوحيد وقال: لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله فقد حرم ماله ودمه، بمعنى أن الله تعالى حرم مال هذا الإنسان فلا يجوز الاعتداء عليه، وحرّم دمه كذلك فصار حراماً على الناس لا يجوز الاعتداء عليه بإزهاق الروح أو يجرح في عرضه أو في جسده.

وحسابه على الله لأن الله جل وعلا هو الذي يحاسب من قام بهذا التوحيد، ومن تلفظ به فيجازيه الجزاء الحسن بنيته واعتقاده وعمله. وإن أخل به فحسابه كذلك على الله تعالى.

وهذا يستلزم أيضاً الكفر بما يعبد من دون الله أياً كان هذا المعبود، فإذا قال المسلم: لا إله إلا الله عصم ماله ودمه، فدل على أن عصمة المال والدم في الدنيا للمسلم؛ لأنه قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله من الأصنام والأوثان .

ولا يعني قولـه : "حرم ماله ودمه" أنه يجوز الاعتداء على غير المسلم؛ فلا يجوز الاعتداء عليه، وذلك لعصمة دمه وماله، وهذه العصمة بمعاهدة أو ذمة وغيرها مما هو مفصل في أبواب الفقه ، أما الحربي الذي أعلن الحرب على المسلمين فتحكمه قواعد الحرب في الإسلام.

6- بابٌ مِنَ الشِّرْكِ لِبْسُ الحَلْقَةِ وَالخَيْطِ ونحوِهِمَا لرفعِ البلاءِ أو دفعِهِ

وقولُ اللهِ تَعَالَى: "قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ [الزمر: 38].

عَنْ عِمْرَانَ بنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ✕ رَأَى رَجُلاً في يَدِهِ حَلْقَةٌ مِنْ صُفْرٍ، فَقَالَ: «ما هَذِهِ ؟» قَالَ: منَ الوَاهِنَةِ. فَقَالَ: «انْزِعْهَا، فَإِنَّهَا لا تَزِيدُكَ إِلاَّ وَهْناً؛ فَإِنَّك لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَداً» رواه أحمدُ بسندٍ لا بأسَ

بِهِ[127].

ولَهُ عَنْ عقبةَ بنِ عامرٍ مرفوعاً. «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَلا أَتَمَّ اللهُ لَهُ. وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً فَلا وَدَعَ اللهُ لَهُ»[128] وفي روايةٍ: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ»[129].

ولابن أبي حاتمٍ عَنْ حذيفةَ: أَنَّهُ رَأَى رَجُلاً فِي يَدِهِ خَيْطٌ مِنَ الحُمَّى فَقَطَعَهُ وَتَلا قَوْلَهُ: ﴿مُّشْرِكُونَ وَهُم إِلَّا بِاللَّهِ أَكْثَرُهُم يُؤْمِنُ وَمَا﴾ [يوسف: 106].

الوقفة الأولى:

شرح مفردات الباب:

(الحلقة) : طوق من النحاس كان المشركون يجعلونها في عضدهم يزعمون أنها تحفظ من العين أو الجن أو من السحر .

(الخيط): ما كان يعقده المشركون على أيديهم ورقابهم يزعمون أن هذا الخيط يدفع الحمى .

(أو نحوها): أي نحو الحلق والخيط مما يلبس في الرجلين أو العنق .

(الواهنة) : عرق يؤلم في الكتف أو في اليد كلها .

(تميمة) : خرزات وحروز يعلقها الجهال يزعمون أنها ترد العين .

(الوَدَعة): جمعها ودع وهو شيء أبيض يخرج من البحر يشبه الصدف كانوا يتقون به العين .

الوقفة الثانية:

افتتح المؤلف - رحمه الله تعالى - هذا الباب بهذه الآية وهي قوله

---

[127]() أخرجه الإمام أحمد (4/445) وابن ماجه (رقم 3531) وابن حبان (رقم 1410، 1411) والحاكم (4/216) وصححه ووافقه الذهبي، والطبراني في معجمه الكبير (18/172 رقم 391) ويشهد لمعناه ما بعده.

[128]() أخرجه الإمام أحمد (4/154) والحاكم (4/216، 217) وصححه ووافقه الذهبي، وابن حبان (رقم 1413)، ويشهد لمعناه ما قبله وما بعده.

[129]() أخرجه الإمام أحمد (4/156) والحاكم (4/217، 219) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم492).

تعالى: ﴿ **قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ** ﴾ [130] .

فالله سبحانه وتعالى يقول في هذه الآية: قل يا محمد أفرأيتم أيها المشركون ما تدعون من دون الله من الأصنام ومن الأوثان إن أرادني الله بضر هل هذه المعبودات تستطيع أن تكشف هذا الضر، أو قدر لي رحمةً من الرحمات في الدنيا أو في الآخرة هل تستطيع هذه المعبودات أن تمسك هذه الرحمة؛ لا أحد ينكر أنها لا تستطيع أن تكشف هذا الضر لأنها لا تستطيع أن تقدم شيئاً لنفسها ، لكن حال المشركين أنهم يعبدونها لتكشف ضراً أو تجلب نفعاً، فالله سبحانه وتعالى يقول: قررهم يا محمد هل هذه المخلوقات تكشف الضر أو تجلب الرحمة ؟ والجواب معلوم أنها لا تستطيع، ولذلك قل: حسبي الله، فالله سبحانه وتعالى هو الكافي وهو الشافي، عليه يتوكل المتوكلون وهم المؤمنون الصادقون.

أما هذه الوسائل التي هي الحلقة والخيط ونحوها ما هي إلا من تصوير الشيطان يلبس بها على ضعفاء الإيمان والعقول.

الوقفة الثالثة :

في حديث عمران أن رسول الله ✕ رأى رجلاً في يده حلقة من صفر فالرسول ✕ استنكر وقال : (**ما هذه الحلقة؟**) قال: من الواهنة بمعنى أنها تدفع عنه هذه الواهنة، فقال الرسول ✕ : (**انزعها لا تزيدك إلا وهناً**) يعني لا تزيدك إلا ضعفاً، وأنها لا تجلب نفعاً ولا تدفع ضراً، وبيّن النبي ✕ نتيجة هذا العمل بقوله: (**فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً**) يعني ما سعدت في الدنيا ولا في الآخرة، فالنبي ✕ أراد من هذا الرجل أن لا يتعلق بهذه الوسائل التي تؤدي به إلى الشرك بالله عز وجل .

الوقفة الرابعة :

أن العبرة بالخواتيم لأن النبي ✕ قال: (**فإنك لو مت وهي عليك** ..) فدل على أن الله سبحانه وتعالى يقبل التوبة ما دام الإنسان لم يمت، فيختم للإنسان بعدم التوحيد إن وقع في مثل هذه الأشياء، وللأسف قد وقع فيها كثير من المسلمين سواء حلق أو خيط أو خرق أو متعلقات أو ربط يربطون على رؤوسهم أو على أصابعهم أو على أيديهم، كل هذه لا تزيد إلا ضعفاً، ولا تزيد إلا وهناً، وهي من عوامل الخسارة والهلاك؛ لأن النبي ✕ قال: (**لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً**) . وعليه فليحذر المسلم من الوقوع بشيء من ذلك لئلا تحصل لـه هذه النتيجة المهلكة.

---

[130] () **سورة الزمر ، الآية (38) .**

الوقفة الخامسة :

إن استخدام هذه الأمور من لبس الحلق والخيط وتعليق التمائم قد يكون لرفع البلاء أو دفعه، فقد يكون قصد من لبسه هو رفع البلاء قبل نزوله، وقد يكون المقصود من اللبس هو رفع البلاء بعد نزوله، والحكم على هذا الفعل سواء، سواء لرفع البلاء أو لدفع البلاء . فلا يتغير الحكم.

والمقصود بهذا أن الشرك بحسب نية هذا اللابس فإن كان اللابس لهذه الحلق أو لهذا الخيط يقصد أن هذه الحلق ترفع البلاء بنفسها أو أن هذا الخيط يدفع البلاء بنفسه فهذا شرك أكبر لأنه جعل هذه الحلق مساوية لله سبحانه وتعالى يدفع البلاء بشيء من الأمور التي لا يستطيعها إلا الله سبحانه وتعالى .

أما إذا كان يقصد أنها سبب لدفع البلاء وليست هي تدفع البلاء بنفسها فهذا من الشرك الأصغر .

الوقفة السادسة :

في قول النبي ﷺ : **(من تعلق تميمة فلا أتم الله لـه ومن تعلق ودعة فلا ودع الله لـه)** نجد عند التأمل في هذا الحديث وأمثاله أنه يعالج أموراً نفسية قد ابتلي بها بعض الناس وللأسف في هذا الوقت من أثر عين أو سحر أو ما تسببه بعض مشكلات الحياة الاجتماعية، فنجد أن **الحديث قد عالج هذه المشكلات من خلال الأمور الآتية** :

الأول: وجوب التعلق بالله سبحانه وتعالى وعدم التعلق بشيء من أمور الدنيا فدعاء النبي ﷺ على من تعلق تميمة أو تعلق ودعة بأن لا يتم الله لـه، فيه سد للباب في الأمور الدنيوية التي لا تضر ولا تنفع .

وقد يقول قائل: كيف يضرني الله تعالى ولم يضر فلاناً؟ فيقال: إنه قد يكون هذا من البلاء لك، ومن حكمة الله في هذه الحياة أنه قضى على الناس أن يبتلوا، وأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل وهكذا، فأنت إذا ابتليت فاعلم أن هذا من عند الله سبحانه وتعالى وقد يكون في هذا رفعة للدرجات وتكفير للسيئات .

الأمر الثاني: أن هذه المصائب التي تصيب الإنسان أياً كانت هذه المصائب ما هي إلا محطات في طريق المسلم في هذه الحياة، فأنت لما تصاب بمرض فكأن الله سبحانه وتعالى يقول: انتبه أنت قد يصيبك ما أصابه فتموت، فتزيد عبادتك ويزيد تقربك من الله سبحانه وتعالى .

ومحصول هذا أن هذه الابتلاءات لِحِكَم لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى . فيجب على المسلم أن يملأ قلبه يقيناً بهذا التوجيه.

الأمر الثالث: أن هذه المصائب قد تصيب الإنسان لرد الطغيان لأن

الإنسان قد يطغى بمادته أو بماله وجاهه، ثم قد تأتيه هذه الابتلاءات فيقف عن هذا الطغيان ويرجع إلى ربه ويحسن عبادته لـه ويزداد تقرباً إليه سبحانه وتعالى .

فيجب على كل من أصيب بمرض نفسي أو هم أو غم أو قلق أو اكتئاب أو ضيق في الصدر أو ضيق في العيش وغيرها من أنواع المصائب أن يتذكر أن المقدر لهذه الأشياء هو الله سبحانه وتعالى، ومن توكل على الله كفاه، فكن ولياً لله سبحانه وتعالى بالتوكل عليه فستجد بإذن الله الراحة النفسية والاطمئنان القلبي .

الوقفة السابعة :

أنه ينبغي للمسلم أن يتداوى بالأسباب المباحة، فالله تعالى أباح لنا أن نتداوى بالأسباب الشرعية المباحة؛ كالتداوي بالقرآن الكريم فقد جعل الله فيه شفاء للناس، وأيضاً عن طريق الأسباب الأخرى المادية المعروفة إذا وصف هذا الدواءَ طبيبٌ موثوق فلا بأس حينئذ بالتداوي، ولكن ينبغي الحذر من التداوي بالحرام لأن النبي ﷺ قال: **(تداووا ولا تتداووا بحرام)** .

وأن يبتعد عن التداوي بالأمور الشركية كما مر سابقاً من لبس الحلق والخيط أو التعلق بغير الله سبحانه وتعالى، ولذلك تلا الرسول ﷺ أو تلا حذيفة قولـه تعالى : ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ**﴾ [131] وهذه الأمة مهما كان فيها من الإيمان فإنهم قد يقعون في الشرك الأكبر أو الأصغر من حيث يعلمون أو لا يعلمون، فعلى المسلم أن يحذر مثل هذه الأشياء وأن يعتمد على الله سبحانه وتعالى .

7- بابُ مَا جَاءَ فِي الرُّقَى وَالتَّمَائِمِ

---

[131] () سورة يوسف ، الآية (106).

فِي الصَّحيحِ عَنْ أَبي بَشِيرٍ الأَنصَارِيِّ رَضيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّه كانَ مَعَ رَسُولِ الله × فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَأَرْسَلَ رَسُولاً: «أَنْ لا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلادَةٌ مِنْ وَتَرٍ أَوْ قِلادَةٌ إِلاَّ قُطِعَتْ»[132]. وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رضي اللهُ عنه - قال: سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ✕ يَقُولُ: «إِنَّ الرُّقَي والتَّمائِمَ والتِّوَلَةَ شِرْكٌ» رواه أحمدُ وأبو داودَ[133].

«**التَّمَائِمُ**»: شَيءٌ يُعَلَّقُ عَلى الأَوْلادِ عنَ العَيْنِ، لَكِنْ إِذَا كانَ المُعَلَّقُ مِنَ القُرْآنِ فَرَخَّصَ فِيه بَعْضُ السَّلَفِ، وَبَعْضُهُمْ لَمْ يُرَخِّصْ فِيه، وَيَجْعَلهُ مِنَ المَنْهِيِّ عَنْهُ. منْهُمُ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

«**والرُّقي**»: هِيَ الَّتِي تُسَمَّى الْعَزَائِمَ، وَخَصَّ منها الدليلُ مَا خَلا مِنَ الشِّرْكِ. فقد رخَّصَ فيه رسولُ اللهِ ✕ من العَيْنِ والحُمَةِ.

«**والتِّوَلَةُ**»: شيءٌ يصنعونَهُ يزعُمُونَ أَنَّه يُحَبِّبُ المَرْأَةَ إِلى زَوْجِهَا، وَالرَّجُلَ إِلى امْرأتِهِ.

وَعَنْ عبدِ اللهِ بنِ عُكَيْمٍ مرفوعاً: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئاً وُكِلَ إِلَيْهِ» رواه أحمدُ والترمذيُّ[134].

وَرَوَى الإمام أَحمدُ عَنْ رُوَيْفِعٍ ﷺ قَالَ: قَالَ لي رسولُ اللهِ ✕ : «يَا رُوَيْفعُ، لَعَلَّ الحَيَاةَ سَتَطُولُ بِكَ، فَأَخْبِرِ النَّاسَ: أَنَّ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ أَوْ تَقَلَّدَ وَتَراً أَوْ اسْتَنْجى بِرَجِيعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ فَإِنَّ محمَّداً بَرِيءٌ مِنْه»[135].

وَعَنْ سعيدِ بنِ جُبيرٍ قَالَ: مَنْ قَطَعَ تَـمِيمَةً مِنْ إِنْسَانٍ كَانَ كَعدْلِ رَقَبَةٍ. رواه وكيعٌ. ولَهُ عَنْ إبراهيمَ قَال: كَانُوا يَكْرَهُونَ التَّمائِمَ كُلَّهَا مِنَ القُرْآنِ وَغَيْرِ الْقُرْآنِ.

الوقفة الأولى :

شرح مفردات الباب:

(الوتر): أحد أوتار القوس ،كان أهل الجاهلية إذا اختلت الوتر أبدلوه بغيره وقلدوا به الدواب اعتقاداً منهم أن يدفع العين عن الدابة.

(الرقى): جمع رقية وهي العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة .

(التمائم) : جمع تميمة وهي ما يعلق على الأولاد من خرزات وتعاويذ وغيرها .

(التولة) : شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والزوج إلى امرأته، وهو نوع من السحر .

---

[132]() أخرجه البخاري (رقم 3005) ومسلم (رقم 2115).

[133]() أخرجه الإمام أحمد (1/381) وأبو داود (رقم 3883)، وابن ماجه (رقم 3530) والحاكم (4/418) وصححه ووافقه الذهبي.

[134]() أخرجه الإمام أحمد (4/310، 311) والترمذي (رقم 2072) والحاكم (4/216) والبيهقي (9/351) والطبراني في الكبير (22/385 رقم 960).

[135]() أخرجه الإمام أحمد (4/108، 109) وأبو داود (رقم 36) والنسائي (8/135 رقم5064) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم 7910).

(العزائم) : آيات من القرآن تقرأ على بعض المرضى أو ذوي العاهات أو تقرأ في ماء ويسقى المريض هذا الماء .

(تقلد وترا) : المقصود ما يعلق على البهائم من قوس النبل يزعمون أنه يدفع العين .

الوقفة الثانية:

هذا الباب قريب من الباب السابق في لبس الحلق والخيط ونحوهما لدفع الضر أو لجلب النفع، والمصنف هنا قال: (باب ما جاء في الرقى والتمائم) التي جعلها بعض الناس باباً لدفع البلاء أو رفعه . فهي وسائل أخرى كانت تعمل في الجاهلية.

وقد ذكر المصنف هذا الباب ليوضح أن على الإنسان أن يتوكل على الله سبحانه وتعالى، وأن يعمل بالوسائل والأسباب المشروعة، وأن يبتعد عن ما فيه محذور شرعي أو ما يؤدي إلى محذور شرعي أو ما يؤدي إلى الشرك أو يوقع في الشرك، ومن ذلك أيضاً وجوب إزالة هذه الأشياء، وأيضاً وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفيه أيضاً بيان عدم الإضرار بالإنس والجن مما يؤثر بهم أو يضر بهم، وفيه بيان لمعجزة النبي ✕ حيث أخبر رويفعاً بأنه يطول به العمر وقد طالت حياته كما أخبر النبي ✕ .

الوقفة الثالثة:

إن أهل الجاهلية كانوا يعلقون القلادة في رقاب الجمال لأجل أن تدفع عنها العين أو ترفع عنها الضر أو تجلب لها النفع، فكانوا يعملون مثل هذه الأعمال فجاء الإسلام بقطع هذه القلادة إذا كانت معلقة على بعير تسمى قلادة من وتر أما إذا كانت معلقة على إنسان تسمى تمائم مثل ما يعلق على الأولاد من خرز أو تعاويذ أو حلق لاتقاء العين، وبعضهم يعلقها على باب البيت أو باب المتجر ونحوه باعتقاد أنها عامل لجلب النفع والرزق ودفع العين، هذا ما كان يعمله أهل الجاهلية. ومثله في واقعنا التعليق على السيارة أو العربة وغيرها.

والحكم في هذا التعليق إن كان المعلق من القرآن أو من الأدعية فهذه اختلف فيها أهل العلم فمنهم من أجازها ومنهم من منعها، والصحيح – والله أعلم - هو المنع لأنه قد يكون هذا الفعل ذريعة لتعليق ما فيه شرك، ثم لعموم النهي الوارد هنا قال: (**لا يبقين في رقبة بعير قلادة**) فلم يقل عليه الصلاة والسلام: إن كانت من القرآن فاتركها فإن كانت من غير القرآن فاقطعها وإنما عمم النهي الوارد في ذلك .

أما إذا كان المعلق من غير القرآن أو الأذكار النبوية كالألفاظ غير

المفهومة أو طلاسم مما فيه استغاثة بالجن ونحو هذا فهو محرم بالإجماع، وقد يكون من الشرك الأكبر إذا اعتقد الإنسان أن هذه القلادة تدفع ضراً و تجلب نفعاً، وأما إذا اعتقد أنها سبب لرفع الضر أو لجلب النفع فهذا من الشرك الأصغر، أما إذا استعان بها بالجن واعتقد أن هؤلاء الجن يدفعون الضر ويجلبون النفع من دون الله عز وجل فهذا شرك أكبر مخرج من الملة والعياذ بالله، فهذه هي التمائم التي هي من الخرق ونحوها التي تعلق على الحيوانات أو تعلق على الإنسان أو تعلق على السيارات مثل ما يفعل بعض الناس الآن من تعليق خرقة سوداء على مرآة السيارة باعتبار أنها تدفع الضر أو تجلب النفع، وفي الغالب يستعملونها اتقاء للعين، نسي هذا المعلق التوكل على الله عز وجل وأن الله سبحانه وتعالى هو الذي بيده النفع وبيده الضر سبحانه . أقول : كل ما ذكر من التمائم المنهي عنها .

الوقفة الرابعة :

إذا كانت هذه العزائم من آيات القرآن ومن السنة ومن الأذكار النبوية فهذه قد رخص فيها كثير من أهل العلم .

أما إن كانت من غير القرآن ومن غير الأذكار النبوية مما يشتمل على الاستعانة بالشياطين أو الاستعانة بغير الله أو كتب بلغة غريبة غير مفهومة أو بطلاسم كمن يتمتم ولا يُعرف ماذا يقول فهذا محرم أشد التحريم، وقد يكون شركاً والعياذ بالله .

الوقفة الخامسة:

في حكم الرقى، فالرقى التي من كتاب الله ومن الأدعية القرآنية والنبوية والتي ليس فيها توسل بغير الله عز وجل وليس فيها محذور شرعي فهذه جائزة، وقد استعملها النبي ﷺ وأمر الصحابة باستعمالها وجرى عليها عمل أهل العلم .

أما إذا كانت من غير القرآن كما سبق فهذه بحسب ما فيها من الكلام، فقد تكون شركاً أكبر كما يستعمل بعض المشعوذين والسحرة والدجاجلة من التوسل إلى الشياطين وغيرهم، وقد تكون حراماً إذا كانت من أشياء ليس فيها شرك وإنما اعتقاد من هذا الشخص بأن هذا الكلام ينفع أو يضر فهذا شرك أصغر، وأقل أحوالها أنها محرمة أشد التحريم .

في هذا الوقت للأسف الشديد كثرت مثل هذه الاستعمالات، فليحذر الإنسان تمام الحذر وأن يتنبه تمام التنبه لهذا الراقي هل يستعمل قرآناً أو دعاء نبوياً واضحاً أو غير ذلك من المحرمات . فقد كثرت الحيل ووسائل التلبيس أعاذنا الله منها.

الوقفة السادسة :

التولة هو ما تعلقه المرأة لتحبب لها زوجها أو العكس أيضاً يعلقه الرجل ليحبب امرأته لـه، وهذا التعليق ذكر النبي ﷺ أنه من الشرك، فالتولة أقل أحوالها أنها محرمة، والوسيلة الشرعية للتحاب بين المرأة وزوجها والتواد هو العشرة الحسنة والدعاء الصادق لله سبحانه وتعالى والمعاملة بالمعروف وقيام كل طرف بالحق الواجب عليه والتحبب بالوسائل المشروعة من الزوجة لزوجها ومن الزوج لزوجته، وليُحذر مما يفعله بعض السحرة والكهان من بعض الأشياء الموهومة والتي تسمى الصرف فينصرف قلب الرجل لزوجته والعكس، وهذا شيء خطير وقد يؤدي إلى الشرك بالله إذا اعتقد هذا الشخص أن هذا الصرف بفعل هؤلاء الشياطين .

فالرسول ﷺ يبين أن من تعلق شيئاً يعتقد بنفعه أو ضره فالله سبحانه وتعالى يكله إلى ذلك الذي تعلق به من دون الله، ولا شك حينئذ إذا وكل إلى هذا فقد وكل إلى ضعف وخور وهلاك .

الوقفة السابعة :

في حديث رويفع ﷺ إشارة إلى طول حياة رويفع، وفيه بيان لبعض المحذورات والممنوعات، **أولها**: عقد اللحية تكبراً فيفتلها ويعقدها ويربطها تكبراً كما تفعل في بعض الحروب كأنها إشارة بأنني لا أُغلب، أو تكبر على الله سبحانه وتعالى فهذا من الممنوعات.

أو تقلد وتراً وهذا سبق الكلام فيه، **وثالث الممنوعات** : الاستنجاء برجيع الدواب أي مخلفاتها يستنجي بها من البول أو الغائط .

والممنوع الرابع الاستنجاء بعظم: ولهذا لما سأل أبو هريرة ﷺ عن سبب النهي عن الاستنجاء بالعظم وروث الحيوان قال ﷺ : **(هما من طعام الجن وإنه أتاني وفد جِن ... فسألوني الزاد، فدعوت الله لـهم ألا يمروا بعظم ولا بروثة إلا وجدوا عليها طعاماً)**[136].

وفي هذا الحديث براءة النبي ﷺ من هذه الأعمال وممن يعمل هذه الأعمال المحرمة، ولذا لا يجوز عملها، ومن تبرأ منه النبي ﷺ كان في خسارة وهلاك في الدنيا والآخرة؛ لأن الرسول ﷺ لا يتبرأ إلا من عمل خطير ، ولا يتبرأ إلا ممن يعمل عملاً خطيراً يناقض الإسلام كله من أصله أو يناقض شيئاً عظيماً في الدين .

و في هذا الحديث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالنبي ﷺ يوجه رويفعاً، وتوجيهه لرويفع هو توجيه لمن بعده من المسلمين أن

---

[136] () **رواه البخاري في كتاب: فضائل الصحابة ، باب: ذكر الجن ، برقم (3647).**

يقوموا بهذه الشعيرة العظيمة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فإذا رأى الإنسان إنساناً آخر عمل منكراً أو تكاسل عن عمل معروف فيأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر كما فعل النبي ﷺ .

الوقفة الثامنة :

قال سعيد بن جبير : (من قطع تميمة من إنسان كان كعتق رقبة) وهذا ظاهره الوقف ولكن حكمه حكم الرفع؛ لأنه بيَّن شيئاً غيبياً؛ قال: كان كعتق رقبة، وأهل العلم في المصطلح يقولون ما كان ظاهره الوقف يعني موقوف على صحابي أو تابعي ونحوه وتحدث عن أمر غيبي فله حكم الرفع؛ لأن الذي يحكم في الأمور الغيبية هو رسول الله ﷺ .

قال: كان كعتق رقبة، يعني فضل من أنكر هذا المنكر وهي التمائم التي هي محرمة أو وسيلة إلى الشرك أو هي من الشرك كان كعتق رقبة، وهذا فيه إشارة إلى عظم المسئولية على العلماء والدعاة بالتبيان والتبيين للناس بأن هذه الأفعال المحرمة قد تؤدي بصاحبها إلى الشرك بالله عز وجل، والعياذ بالله، وهذه من الأشياء التي تضعف عقيدة المسلمين وتضعف توحيدهم وتخلخل علاقتهم بربهم عز وجل .

وفيه بيان لمسئولية الآباء والمسئولين عن تربية الناس بالتحذير من التعلق بهذه التمائم والخزعبلات التي قد تكون بفعل المشعوذين والسحرة ونحوهم، وفيه توجيه لكل مسئول أن يقوم بمسئوليته تجاه كل ما يخل بعقيدة المسلمين وتوحيدهم .

الوقفة التاسعة:

هذا الباب هو في حكم الرقى والتمائم والتولة التي فعلت في الجاهلية ويفعلها بعض المسلمين، وأن على الإنسان أن يتوكل على الله سبحانه وتعالى وأن يعمل بالأشياء المشروعة والأسباب المشروعة، وأن يبتعد كل البعد عن ما فيه محذور شرعي أو ما يؤدي إلى محذور شرعي أو ما يؤدي للشرك أو يوقع في الشرك .

ومن ذلك أيضاً وجوب إزالة هذه الأشياء والقيام بالمسئولية من قبل المسئولين والعلماء والمربين والدعاة، وفيه أيضاً بيان لعدم الإضرار بالإنس أو بالجن مما يؤثر عليهم أو يضر بهم .

8- بــابٌ مَنْ تبرَّكَ بشجرةٍ أَوْ حجر ونحوِهِمَا

وقَوْلُ اللهِ تَعَالى: ﴿ ٱلْأُخْرَىٰ ٱلثَّالِثَةَ وَمَنَوٰةَ ﴿١٩﴾ وَٱلْعُزَّىٰ ٱللَّاتَ أَفَرَءَيْتُمُ ﴾ [النجم: 19 - 23].

عَنْ أَبي واقِدٍ اللَّيْثيِّ قالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ الله ✕ إلى حُنَيْنٍ، وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وللْمُشْرِكينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيَنُوطُونَ بها أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لها ذَاتُ أَنْواطٍ. فَمَرَرْنا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْواطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْواطٍ. فَقَالَ رَسُولُ الله ✕: «اللهُ أَكْبَرُ، إِنَّها السُّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرائيلَ لِمُوسى: ﴿ قَوْمٌ إِنَّكُمْ قَالَ ءَالِهَةٌ لَهُمْ كَمَا إِلَٰهًا لَّنَآ ٱجْعَل تَجْهَلُونَ ﴾ [الأعراف: 138] لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم» رواه الترمذيُّ وصحَّحهُ[137].

---

[137]() أخرجه الإمام أحمد (5/218) والترمذي (رقم 2181) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم 3601).

الوقفة الأولى:

شرح مفردات الباب:

(التبرك) : طلب البركة .

(اللات): فيها قراءتان قراءة التشديد فتكون اسم فاعل من اللّت وكان هذا اسم لصنم، وأصله رجل كان يلت السويق للحجاج فلما مات عكفوا على قبره وجعلوه صنماً، ولّت السويق أي يجعل مع السويق السمن .

وعلى قراءة التخفيف تكون اللات مشتقة من الله أو من الإله، وهي صخرة لأهل الطائف ومن حولها من الأعراب .

(العزّى) : مشتق من اسم الله "العزيز" وهي نخلة في وادٍ بين مكة والطائف تعبده قريش وبنو كنانة.

(مناة): قيل مشتقة من اسم المنان أو من (منى) لكثرة ما يمنى عنده من الدماء بمعنى يراق. وكان بين مكة والمدينة لهذيل وخزاعة .

(قسمة ضيزى) : أي قسمة مائلة غير عادلة .

(حُنين) : اسم للمكان الذي وقعت فيه غزوة حُنين .

(حدثاء عهد بكفر): أي لا يزال إسلامهم قريباً .

(ينوطون بها أسلحتهم) : أي يعلقون بها أسلحتهم لطلب البركة .

الوقفة الثانية:

مع قولـه تعالى: ﴿**أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى**﴾ الآيات

ذكر المصنف هذه الآيات تحت هذا الباب ليبين أن هذه أسماء أصنام وأوثان في الجاهلية كانوا يعبدونها ويطلبون منها البركة ويذبحون عندها ويسألونها من دون الله، فذمهم بهذا الاستفهام الإنكاري على تبركهم ودعائهم عند هذه الأصنام .

الوقفة الثالثة :

مع حديث الباب وفيه أنواع التبرك وحكم كل نوع:

1 - **تبرك جائز ومشروع**: وهو طلب البركة والتماسها مما علم بالشرع أنه مبارك مثل طلب البركة من النبي ﷺ أثناء حياته وطلب البركة في اتباع شرعه وتعاليمه بعد مماته.

ومن التبرك المشروع الصلاة في الحرمين الشريفين تطلب فيها البركة وذلك في مضاعفة الأجر .

ومثل شرب ماء زمزم الذي أخبر النبي ﷺ: أنه طعام طعم وشفاء سقم [138] .

---

[138] () **أخرجه مسلم بلفظ "طعام طعم" (فضائل الصحبة باب من فضائب أبي ذر) (4520)**

2 - **تبرك ممنوع** - وهو مراد المصنف - : وهو طلب البركة مما لم يأذن به الشرع.

وحكم هذا التبرك بحسب نية المتبرك فقد يكون شركاً أكبر وقد يكون دون ذلك.

فمن شد الرحال إلى ضريح أو قبر يزعم أنه ولي؛ فإن دعاه من دون الله وطلب من هذا الولي رفع الضر أو دفعه أو جلب الخير أو تبرك به من دون الله فهذا شرك أكبر أما إن دعا الله تعالى عند الضريح وبزعمه أنه بهذا تحصل البركة فهذا كبيرة من كبائر الذنوب.

الوقفة الرابعة : مسألتان مهمتان :

المسألة الأولى: من تبرك بالشجر والحجر وغيرهما واعتقد نفعهما من دون الله هل يكفر ، وهل يُكفّر كل من فعل ذلك؟

أما من تبرك بالشجر أو بالقبر أو بالضريح للولي الفلاني واعتقد نفعه أو ضره من دون الله وأقر بذلك فلا شك في إشراكه مع الله شركاً أكبر يخرج به من الملة.

وأما ما يحصل الآن عند عامة المسلمين من التبرك بالقبور والأضرحة فهؤلاء يعذرون بالجهل حتى يبين لهم الحق فإنك لو سألت أحدهم : هل تعتقد نفع هذا الولي من دون الله ؟ لاستنكر كلامك مما يدلك على جهلهم .

المسألة الثانية: واجبنا نحو من يفعل هذه الأفعال :

يجب الإنكار عليهم وبيان الحق لهم وخطورة فعلهم ولكن بالتي هي أحسن؛ بأن يبين المنهج الصحيح في ذلك وما مصدر البركة الحقيقية؟ وما السبل الصحيحة الموصولة إلى البركة المشروعة؟ وأن الأمور كلها بيد الله تعالى وإليه يرجع الأمر كله، ويتعين هذا البيان على أهل العلم والدعاة وكل من يجيد حسن البيان . كما يتعين على المسؤولين في كل بلد أن يمارسوا سلطتهم في ذلك .

الوقفة الخامسة :

في حديث الباب بيان لتحريم النبي ✕ من طلب البركة من الأشجار وغيرها ، وأخبر أننا سنتبع ونقلد من كان قبلنا **وهذا التقليد على نوعين** :

1 - التقليد في أمور الاعتقاد مثل الاحتفال بأعياد الكفار، ومثل طلب البركة مما هو ممنوع في الشرع . ولا شك في حرمة هذا وبدعيته.

2 - التقليد في الأعمال كما أخبر ✕ عن وجوب مخالفة اليهود

وصحح الألباني لفظ "طعام طعم وشفاء سقم" في صحيح الجامع (3572).

وغيرهم بالأمر بإعفاء اللحى وحف الشوارب.

والضابط في الأعمال : إن كان العمل مما عرف الكفار به وصار علَماً عليهم فلا يجوز مشابهتم به ، ولكن إذا كان ما يعمله الكفار مباحاً وليس علَماً عليهم وليس خاصاً بهم فلا حرج من فعله .

9-بابُ ما جاءَ في الذَّبحِ لِغَيْرِ اللهِ

وقولِ اللهِ تَعالَى: ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ رَبِّ لِلَّهِ وَمَمَاتِى وَمَحْيَاىَ وَنُسُكِى صَلَاتِى إِنَّ قُلْ﴾ ﴿ٱلْمُسْلِمِينَ أَوَّلُ وَأَنَا۠ أُمِرْتُ وَبِذَٰلِكَ لَهُۥ شَرِيكَ لَا﴾ [الأنعام: 162، 163].

وقوله: ﴿وَٱنْحَرْ لِرَبِّكَ فَصَلِّ﴾ [الكوثر: 2].

عَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللهِ ✕ بأرْبَعِ كلماتٍ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْه، لَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثاً، لَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ»[139]. رواه مسلمٌ.

وعَنْ طَارِقِ بْنِ شهابٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ✕ قَالَ: «**دَخَلَ الجَنَّةَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبابٍ**» قَالُوا: وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ **قَالَ: «مَرَّ رَجُلانِ عَلى قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ لا يَجُوزُهُ أَحَدٌ حَتَّى يُقرِّبَ لَهُ شَيْئاً. قَالُوا لأَحَدِهما: قَرِّبْ. قَالَ: لَيْسَ عِنْدِي شَيءٌ أقَرِّب. قَالُوا له: قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَاباً، فَقَرَّبَ ذُبَاباً فخَلَّوا سَبِيلَهُ فَدَخَل النَّارَ، وَقَالُوا للآخَرِ: قَرِّبْ. فقَالَ: مَا كُنْتُ لأُقَرِّبَ لأَحَدٍ شَيْئاً دُونَ**

---

[139]() أخرجه مسلم (رقم 1978).

اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. فَضَرَبُوا عُنُقَهُ فَدَخَلَ الجَنَّةَ»[140]. رواه أحمد.

الوقفة الأولى:

شرح مفردات الباب:

(نسكي) : أي ذبحي لبهيمة الأنعام .

(انحر): أي اذبح ، والأصل أن الذبح يكون للبقر والغنم ، وأما النحر فيكون للإبل.

(لعن الله) : اللعن من الله هو الطرد والإبعاد عن رحمته واللعن من الخلق: السب والشتم.

(آوى محدثاً): أي نصر وحمى المحدث، والمحدث بكسر الدال هو الذي أحدث في دين الله مالم يشرعه، أو أحدث أمراً منكراً في الأمة كالجرائم وانتهاك الحرمات .

(منار الأرض): العلامات التي تفصل بين حقوق الناس في الأراضي والمزارع وغيرها.

الوقفة الثانية:

ذبح البهائم على ثلاثة أنواع :

النوع الأول: الذبح عبادة لله عز وجل مثل ذبح الهدي في الحج ، وذبح العقيقة للمولود، وذبح الأضحية، وذبح البهيمة ليتصدق بها على الفقراء ... فهذه من العبادات التي يؤجر عليها المسلم ، ومنها ما هو واجب كالهدي على المتمتع في الحج، ومنها ما هو مستحب كالذبح من أجل

---

[140]() أخرجه الإمام أحمد في كتاب الزهد (ص22) وأبو نعيم في الحلية (1/203) عن سلمان موقوفًا وهو صحيح.

الصدقة.

النوع الثاني: الذبح في الأمور العادية كأن يذبح الإنسان ليأكل هو وأهله اللحم ، أو يذبح لأجل الضيف، فهذا الأصل فيه الإباحة والجواز، وبقدر نيته الصالحة واحتسابه يؤجر عليه .

النوع الثالث: الذبح عبادة لغير الله، وهو المراد بهذا الباب، وهو شرك بالله عز وجل ، إذ الأصل أن الذبح عبادة لا تصرف إلا لله وحده ولو كان قليلاً، ففي الحديث الذي ذكره المصنف في الرجل الذي قرب ذباباً للصنم فدخل النار دليل على ذلك .

وعليه فمن ذبح تقرباً للصنم أو الجن أو الشجر أو الحجر أو الضريح أو لساحر فهو مشرك بالله شركاً أكبر مخرجاً من الملة .

الوقفة الثالثة :

إن من ذبح لغير الله بمعنى أنه صرف نوعاً من العبادة لغير الله فقد أشرك بالله، ولهذا ما يفعله بعض الناس من الذبح للأولياء والأضرحة والقبور، وكذا ما يطلبه بعض السحرة من المرضى من الذبح في حمامٍ أو مزبلة أو خربة ويقولون لـه: لا تذكر اسم الله عند الذبح ولكن قل: باسم فلان الساحر أو الجني، أو لا تذكر أي اسم عند الذبح؛ فكل ذلك شرك بالله، ويخشى على صاحبه أن يكون كصاحب الذباب، والعياذ بالله .

وحديث صاحب الذباب يبين أن الشرك أمر خطير جداً فقد يقع من المرء بسرعة وبشيء يسير، وظاهر القصة أن هذا الرجل ذبح بنية التقرب لهذا الصنم، ولو فعله بنية التخلص من شرهم ولم ينو الذبح لغير الله فلا يكفر؛ لقوله تعالى : ﴿**مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [141] .

وبالضد فإن التوحيد يوجب دخول الجنة وعدم التخليد في النار ولو كان المسلم عاصياً، فهو تحت مشيئة الله سبحانه إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه بقدر معصيته ولكن مآله للجنة ، ولهذا يقول الله تبارك وتعالى : ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾ [142] .

الوقفة الرابعة :

حديث علي ﷺ الذي ذكره المصنف حديث عظيم ، وفيه اللعن من الله لمن اتصف ببعض الصفات، ومنهم من ذبح لغير الله لأنه اعتدى على مقام الألوهية فأشرك في عبادة الله غير الله، ومنهم من لعن والديه وهما

---

[141] () **سورة النحل ، الآية (106).**

[142] () **سورة النساء ، الآية (48).**

الأب والأم وإن عَلَيا فيدخل في ذلك جميع الأجداد والجدات سواء من جهة الأب أو من جهة الأم، ولعن الوالدين قد يكون مباشرة بأن يلعن شخص والده أو والدته ، ويكون أيضاً بغير مباشرة كأن يلعن والدَ شخصٍ آخر فترجع هذه اللعنة إلى والده فكأنه لعن والده مباشرة والعياذ بالله، ولهذا قال رسول الله ﷺ: **(إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه، يلعن أبا الرجل فيلعن أباه، ويلعن أمه فيلعن أمه)**[143].

ومنهم من آوى محدثاً فحماه ونصره أو تستّر عليه، لأن في ذلك تعاوناً على الإثم والعدوان .

ومنهم من غير منار الأرض وهي العلامات التي تفصل عقارات الناس وتبينها، وفي هذا تلبيس على الناس ومدعاة لقيام الخصومة بينهم فيما بعد، فالواجب على المسلم الحذر من كل هذه الأمور التي تسخط الله، نسأل الله العفو والعافية .

10- بابٌ لا يُذبحُ للهِ بِمكانٍ يُذبحُ فِيهِ لِغَيْرِ اللهِ.

---

[143]() رواه البخاري في كتاب: الأدب، باب: لا يسب الرجل والديه ، برقم (5628).

وَقَوْلُ اللهِ تَعالى: " لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ١٠٨" [التوبة: 108].

عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رضي الله عنه قَالَ: نَذَرَ رَجُلٌ أَنْ يَنْحَرَ إِبلاً بِبُوانَةَ فسألَ النَّبيُّ × فقالَ: «هَلْ كَانَ فِيها وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟» قَالُوا: لا. قَالَ: «فَهَلْ كانَ فيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟» قَالُوا: لا. فَقَالَ رَسولُ اللهِ ×: «أَوْفِ بِنَذْرِكَ، فَإِنَّهُ لا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلا فِيمَا لا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ»[144] رَوَاهُ أَبُو دَاوُد وَإِسْنَادُهُ عَلَى شَرْطِهِمَا.

الوقفة الأولى:

شرح مفردات الباب:

(لا تقم فيه) : أي لا تصلِ فيه .

(يحبون أن يتطهروا) : يشمل الطهارة الحسية في البدن والثوب والتنزه من النجاسات، وكذا الطهارة المعنوية بسلامة الصدر وقوة المراقبة لله .

---

[144]() أخرجه أبو داود (رقم 3313) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم 2551).
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في اقتضاء الصراط المستقيم (1/437) أصل هذا الحديث في الصحيحين. وهذا الإسناد على شرط الصحيحين، وإسناده كلهم ثقات مشاهير، وهو متصل بلا عنعنة.

(والله يحب المطهرين) : هذه المحبة التي أثبتها الله سبحانه لنفسه محبة حقيقية منه تبارك وتعالى للمطهرين، تثبت لـه من غير تشبيه لأحد من المخلوقين ولا تمثيل ولا تكييف لها ولا تعطيل لمعناها ، محبة تليق بجلاله وعظمته .

(بوانة) : مكان قريب من مدينة ينبع التي على البحر الأحمر بين مكة والمدينة .

(الوثن) : وهو ما عُبد من دون الله سواء أكان صورة أو غيرها .

(الجاهلية) : من الجهل ضد العلم، وهي عند الإطلاق بأل التعريف تعني ما كان قبل الإسلام .

(النذر): في اللغة : هو التكليف والإيجاب والإلزام، وفي الاصطلاح الشرعي: هو إلزام المكلف نفسه شيئاً لم يكن لازماً عليه بأصل الشرع . كأن يلزم نفسه بصلاة أو صدقة أو صيام غيرها لم يكن لازماً عليه بأصل الشرع.

الوقفة الثانية

أورد المصنف هذا الباب - بعد أن قرر في الباب السابق أنه لا يجوز الذبح بغير الله - ليجيب عن سؤال وهو ما حكم الذبح لله في مكان يذبح فيه لغير الله ؟ والجواب عليه: أن هذا لا يجوز كما هو ظاهر من نصوص الباب .

فقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾[145]، ثم قال بعدها : ﴿**لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً**﴾، سبب نزولها أن المنافقين بنَوا مسجداً لمضارة المؤمنين بعد أن بنى المسلمون مسجد قباء، وليقيهم من الحر والبرد والمطر، وطلبوا من رسول ✕ أن يأتيه ويصلي فيه ليلبسوا على الناس في ذلك، فنزلت هذه الآية على رسول ✕ بأن يلزم المسجد الذي أسس على تقوى الله، ولا يصلِّ في مسجد الضرار هذا، ثم إن النبي ✕ أمر بهدمه، وفي هذه الآية دليل أن المكان الذي يقصد فيه غير الله سبحانه لا يتعبد فيه لله، حيث إن المسلم قد يفعل فعلاً صحيحاً بمكان أو زمان يُفعل فيه محرم، ولهذا قطع سبحانه هذا الاشتباه بتحريم هذا الفعل، فدل على أن الغاية المشروعة لا يتوصل إليها إلا بوسيلة مشروعة .

---

[145]() **سورة التوبة (الآية:107) .**

الوقفة الثالثة :

الحديث الذي ذكره المصنف في الرجل الذي نذر أن يذبح إبلا ببوانة **يستنبط منه عدة فوائد منها** :

- **حرمة التشبه بالكفار**، ولو كان هذا التشبه بحسن نية: فالمسلم يجب عليه أن يعتز بدينه كما أعزه الله سبحانه ورضي لـه هذا الدين ففيه الخير والفلاح في الدنيا والآخرة، والتشبه بالكفار يكون بالاعتقاد مثل التشبه بالأعياد، ويكون بالسلوك غير السوى منهم، كالتشبه في الألبسة ولاسيما التي تحتوي على كتابات منافية للشرع، وكذا قصات الشعر وقد قال ✕ : **(من تشبه بقوم فهو منهم)**[146] ، وكثيراً ما كان يأمر ✕ بمخالفة اليهود والمجوس والمشركين عامة.
- **البعد عن الوسائل المؤدية للشرك** وسد هذا الباب ؛ لئلا يقع المسلم في شيء من الشرك.
- **جواز أن يُخصص مكان بالنذر** بشرط ألا يكون في هذا المكان ما يمنع شرعاً من عمل المنذور فيه كأن يكون محلاً للمحرمات.

الوقفة الرابعة :

ينقسم النذر، من حيث الطاعة والمعصية إلى قسمين:

1- **النذر لفعل طاعة**: كقول الشخص: إن شفى الله مريضي فسأصلي لله عشر ركعات نافلة، أو إن نجحت في الامتحان فسأذبح ذبيحة لله وأوزعها على المساكين، فهذه الذبيحة وصلاة عشر ركعات نافلة ليست بلازمة عليه بالتكليف الشرعي لكنه ألزم نفسه هذا النذر فيجب الوفاء به لحديث النبي ✕ **(من نذر أن يطيع الله فليطعه)**[147] ، والأمر يقتضي الوجوب على المكلف .

2- **النذر لفعل معصية**: كقول القائل: إن شفيتُ من المرض لأشربن كأس خمر أو لأشربن الدخان .

فهذا النوع لا يجوز الوفاء به لحديث الباب، ولحديث: **(من نذر أن يعصي الله فلا يعصه)**[148] ، وقد قال بعض أهل العلم إنه يكفّر كفارة يمين تحللاً من هذا النذر .

---

[146]() رواه أبو داود في كتاب: اللباس، ببا: في لبس الشهرة، برقم (4031)، وصححه الألباني في الإرواء (5/195) .

[147]() يأتي تخريجه في الباب الذي يليه إن شاء الله .

[148]() يأتي تخريجه في الباب الذي يليه إن شاء الله .

11- بابٌ مِنَ الشِّرْكِ النَّذرُ لِغيرِ اللهِ.

وقولُ اللهِ تعالى: ﴿مُسْتَطِيرًا شَرُّهُۥ كَانَ يَوْمًا وَيَخَافُونَ بِٱلنَّذْرِ يُوفُونَ﴾ [الإنسان: 7].

وقولُهُ تَعالَى: ﴿ٱللَّهَ فَإِنَّ نَذْرٍ مِّن نَذَرْتُم أَوْ نَّفَقَةٍ مِّن أَنفَقْتُم وَمَآ يَعْلَمُهُۥ﴾ [البقرة: 270].

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - أَنَّ رَسُولَ الله ✕ قَالَ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يعصِي الله فَلا يَعْصِه»[149].

---

[149]() أخرجه البخاري (رقم 6696) ومسلم (رقم 1641) نحو هذا اللفظ.

الوقفة الأولى:

شرح مفردات الباب :

(النذر) : لغة : هو الإيجاب والإلزام ، وفي الاصطلاح الشرعي: هو إلزام المكلف - وهو العاقل البالغ - نفسه ما ليس واجباً عليه. وقد سبق في الباب الذي قبله.

(نفقة): النفقة هي بذل المال للنفس أو للغير، وتكون في الخير والشر .

الوقفة الثانية:

هذا الباب تواصل مع الأبواب السابقة فيما يقدح في التوحيد ويناقضه ، وقد تكلم المؤلف فيما قبله عن الذبح لغير الله جل شأنه، وهنا يتكلم - رحمه الله - عن عبادة لا يجوز صرفها إلا لله تبارك وتعالى وهي النذر .

فالله سبحانه كلّف الناس بتكاليف شرعية وهذه التكاليف عبادة مبنية على أركان وواجبات لابد للعبد من القيام بها، فيأتي المكلف ليلزم نفسه بعبادة أو بأشياء أخرى ليست واجبة في الشرع، فلم يوجبها الله سبحانه عليه ، فالشرع مثلاً لم يكلفنا سوى خمس صلوات في اليوم والليلة فيأتي شخص فيقول : إن نجحت في الامتحان صليت شهراً كاملاً كل يوم عشر ركعات، فهذه العشر ركعات لم تكن واجبة عليه في أصل الشرع، وإنما أوجبها على نفسه فهذا هو النذر .

وأهل العلم مختلفون في حكمه هل هو حرام أم مكروه؟ والجمهور على كراهة ابتدائه ولكنه واجب الأداء إن نذر فعل طاعة.

هذا هو النذر. فإذا صرفه الإنسان لغير الله عز وجل فقال : نذرت للضريح الفلاني أو للولي الفلاني فهذا النذر شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام ؛ لأنها صرف عبادة لغير الله، ودليل ذلك آية الباب وهي قولـه عز وجل : ﴿**وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ**﴾ [150] والظالمون هم المشركون بالله عز وجل الذين

---

[150] () سورة البقرة ، الآية (270).

يصرفون هذه الأمور لغيره سبحانه، وقد سمى الله سبحانه الشرك به ظلماً فقال سبحانه: ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ [151] .

ولقد كان النذر للأولياء والصالحين منتشراً في الجاهلية، ومع الأسف وقع في هذه الأمة في بعض الأقطار شيء من ذلك فيقول قائلهم: يا سيدي فلان إن رزقت بمولود جعلت لك كذا، أو ذبحت عند ضريحك كبشاً ونحوه . العاقل يعرف أن الميت انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو لـه، كما أخبر النبي ✕ فهذا الميت هو محتاج لدعاء الإنسان الحي لا العكس. فالواجب ترك الوسائط مع الله. والتوجه بدعائه ورجائه إلى الله تبارك وتعالى مباشرة، وسيجد الإنسان الخير الكثير.

الوقفة الثالثة: أقسام النذر : من حيث صياغته وحكمه.

الأول : النذر المطلق ، فيقول الناذر : لله عليّ نذرٌ ، ولا يحدد شيئاً يفعله، فهذا عليه كفارة يمين وهي الواردة في قولـه تعالى: ﴿**لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ**﴾ [152] وجاء في الحديث : (**من نذر نذراً لم يسمّه فكفارته كفارة يمين**) [153] .

الثاني: نذر اللجاج والغضب، وهو الذي يكون في معرض غضب الإنسان وخصومته مع الآخرين، فيعلق الناذر نذره على شرط يقصد المنع منه مثلاً أو الحث ، فيختصم رجلان فيقول أحدهما على سبيل الغضب إذا لم تدخل البيت فعليّ صيام خمسة أيام. وهذا الناذر يخير بين كفارة اليمين وبين تنفيذ هذا النذر، وقد ورد في الأثر : (**لا نذر في الغضب وكفارته كفارة يمين**) [154] .

الثالث: النذر لفعل مباح، كقول القائل: لله علي نذر أن ألبس ثوبي ، وقد قال بعض أهل العلم أن هذا مخير بين أن يفعل ما نذره أو يكفر كفارة يمين، والأقرب -والله أعلم- أنه يجب عليه تنفيذ ما قاله .

---

[151] () سورة لقمان ، الآية (13).

[152] () سورة المائدة ، آية (89).

[153] () رواه أبو داود في كتاب : الأيمان والنذور، باب: من نذر أن يتصدق بماله، برقم (3322)، ورواه ابن ماجه في كتاب : الكفارات ، باب : من نذر نذراً لم يسمه، برقم (2127).

[154] () رواه النسائي في كتاب : الأيمان والنذور، باب:كفارة النذر، برقم (3782)، وضعفه الألباني في الإرواء برقم (2587).

الرابع: النذر لفعل معصية : كأن يقول: لله علي نذر إذا جاء صديقي أن نسمع الغناء، فهذا يحرم الوفاء به باتفاق العلماء، وقد قال بعض العلماء: يجب عليه كفارة يمين محللاً من هذا النذر [155] .

الخامس: النذر لفعل طاعة، ويكون معلقاً على شرط كقول الناذر : إن نجحت في الامتحان فعليّ صوم يومٍ ، فإن وجد الشرط وجب الوفاء به، وقد يكون غير معلق فيقول: علي صومٍ يوم فيجب عليه الوفاء به .

الوقفة الرابعة:

جاء عن النبي ✕ أنه قال: **(إن النذر لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من البخيل)** [156] فالله كلف الناس بطاعات وعبادات عليهم أن يقوموا بها ، وما لم يكلفهم ليس عليهم أن يكلفوا أنفسهم، ولكن ثمة صنف من الناس يظنون أن الأمر الطيب والمحمود لا يحصل إلا إذا ألزم نفسه بشيء فيه طاعة لله عز وجل، فمثلاً يقول: إن شفى الله مريضي فسأنحر جملاً، فقد يظن أن قولـه: نحرت جملاً أنه سبب للشفاء وهذا ليس بصحيح ؛ لأن ما قدره الله كائن وحاصل، ولكن على الإنسان أن يلجأ إلى الله بالدعاء، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾ [157] ولا ينبغي للمسلم أن يشق على نفسه بهذا النذر الذي قد يصعب عليه تنفيذ ما نذر به أو يفتر ويتراخى عنه، وقد يبحث عن الرخص في ذلك ولا يجد فيكون الأمر عليه عسيراً .

12- بابٌ مِنَ الشِّرْكِ الاستِعَاذَةُ بِغَيْرِ اللهِ

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالى: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: 6].

وَعَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ رضي اللهُ عنها قَالتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ✕ يَقُولُ: «مَنْ نزَلَ مَنْزِلاً فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِماتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ. لَمْ

---

[155] () انظر: المغني (13/622).

[156] () رواه البخاري في كتاب : الأيمان والنذور، باب : الوفاء بالنذر، برقم (6314)، ومسلم في كتاب: النذر، باب النهي عن النذر، برقم (1639).

[157] () سورة البقرة ، الآية (186).

يَضُرُّهُ شَيءٌ حَتَّى يَرْحَلَ مِنْ مَنْزِلِه ذَلِكَ»[158] رواه مسلمٌ.

الوقفة الأولى:

شرح مفردات الباب:

(يعوذون) : الاستعاذة هي الالتجاء والاعتصام مما يحذر من أمور الشر، أما الاستعانة فهو الاعتصام بأحد لطلب أمر فيه خير .

(رهقاً): أي خوفاً وذعراً وإثماً.

(كلمات الله): هي القرآن.

(التامات): الكاملات التي لا يلحقها نقصٌ ولا عيب .

الوقفة الثانية:

الاستعاذة من حيث حكمها تنقسم إلى قسمين :

أ ـ الاستعاذة المشروعة : وهي الاستعاذة والاعتصام والالتجاء إلى الله لدفع الشرور وكل ما يخافه الإنسان ، من الإنس والجن والحيوان المفترس وكذا الخوف من المستقبل.

ب ـ الاستعاذة الممنوعة : وهي الاستعاذة والالتجاء لغير الله عز

---

[158]() أخرجه مسلم (رقم 2708).

وجل مهما كان وعلت منزلته في أمر لا يقدر عليه إلا الله فهذا شرك أكبر مخرج من الملة ؛ لأنه صرف عبادة لغير الله عز وجل مما لا يقدر عليه إلا الله .

ولكن إذا كان المخلوق يقدر عليه فيجوز الاستغاثة به، كالرجل الذي يُستغاث به ليناصر قومه على الأعداء إن كان قادراً عليه، أو الذي يذهب لأمير ليستجيره من رجل يريد قتله ، أو خشي من الغرق فيستغيث بمن يستطيع إنقاذه منه.

الوقفة الثالثة:

في قولـه تعالى : ﴿**وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً**﴾ [159] يحكي الله سبحانه عن أناس من الإنس يلجأون ويعتصمون ببعض الجن يعرفونهم أو لا يعرفونهم ظناً منهم أن هؤلاء الجن قادرون على أن يعصموهم مما يخافه الإنس، فبين الله سبحانه وتعالى أن من الآثار السيئة في الدنيا لهذا الالتجاء الغير مشروع هو أن الجن تمكنوا من الإنس وزادوهم خوفاً وذعراً أكثر مما أصابهم من قبل .

وكان الواجب الالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى كما قال : ﴿**وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ**﴾ [160] وقال تبارك وتعالى أيضاً: ﴿**وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ**﴾[161] ولذا جاءت الشريعة بنصوص كثيرة من لازمها أن يعصم الإنسان من جميع الشرور بإذن الله ومنها:

- ما جاء في قصة أبي هريرة مع الشيطان حينما كان يحفظ الزكاة فجاءه الشيطان ليأخذ منها فمسكه أبو هريرة ثم خلى سبيله لما علم شدة حاجته، ففعل معه ذلك ثلاثاً، وفي الثالثة لما هم أن يرفع أمره إلى النبي ﷺ قال لـه الشيطان: (إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ حتى تختم الآية فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح) فخلى أبو هريرة سبيله، فلما عرض ذلك على النبي ✕ قال : (**أما إنه قد صدقك وهو كذوب**) [162] .
- ما رواه عقبة ﷺ أن النبي ✕ قال: عن سورتي الفلق والناس (**ما سأل**

---

[159] () **سورة الجن ، الآية (6).**

[160] () **سورة الأعراف ، الآية (200).**

[161] () **سورة المؤمنون ، الآية (97-98).**

[162] () **رواه البخاري في كتاب : الوكالة ، باب من وكل رجلاً فترك الوكيل شيئاً فأجازه الوكيل برقم (2187).**

سائل ولا استعاذ مستعيذ بمثلهما) [163] .

- ومنها ما جاء عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ قال: **(من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه)** [164] يعني كفتاه من جميع الشرور والآثام.
- وما رواه عثمان بن عفان ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: **(ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات لم يضره شيء)** [165] .
- وكذلك ما جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال من قال : **(لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه لـه الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت لـه عدل عشر رقاب، وكتبت لـه مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت لـه حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر من ذلك)** [166] .

إلى غير ذلك من الأوراد والأحصان الشرعية الواقية من شر المخلوقات ، فمن حافظ على مثل هذه الأوراد كان حري أن يُحفظ في نفسه وعرضه وولده وماله، كما أن هذه الأوراد سبب للطمأنينة والأمن المعنوي والحسي، ومن التحصين تحقيق التوحيد وصدق الالتجاء إلى الله وهو سبب للطمأنينة وعدم الخوف أيضاً، لذا قال تبارك وتعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾ [167] ولا شك أن الراحة النفسية مطلب عزيز يتمناه كل من في الدنيا، ونحن المسلمين عندنا الدواء العاجل الناجح لهذا الأمر الذي تبحث عنه الدول والمجتمعات والأفراد بأموالهم وحيلهم وطبهم ، فعندنا قوة التعلق بالله عز وجل ومنها الاستعاذة به تبارك وتعالى من الشرور والآثار كلها فيحصل ما تصبوا إليه المجتمعات وترجوه .

---

[163] () رواه النسائي في كتاب: الاستعاذة ، برقم (5343) ، وحسنه الألباني في الجامع برقم (13908)

[164] () رواه البخاري في كتاب: فضائل القرآن ، باب: فضل سورة البقرة، برقم (4722).

[165] () رواه الترمذي في كتاب: الديوان، باب: الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى، برقم (3388).

[166] () رواه البخاري في كتاب : الدعوات ، باب فضل التهليل برقم (6040) ، ورواه مسلم في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب: فضل التهليل، برقم (2691).

[167] () سورة الأنعام، الآية (82).

الوقفة الرابعة:

في حديث خولة رضي الله عنها الذي أورده المصنف إشارة إلى أهمية هذا الذكر، وأن المسلم أينما حل سواء أكان في بيت أو شقة مستأجرة أو في البر أو ركب سيارته أن يقول هذا الذكر العظيم الذي سيكون بإذن الله حامياً لـه، والواجب عليه أيضاً أن يُعَلِّم ذريته، وأسرته هذا الذكر ليتعودوا عليه ، وله أن يعوذ أبناءه بنفسه كما فعل النبي ✕ مع الحسن والحسين، وإن قال هذا الدعاء في غير هذه المواضع فلا بأس بذلك إذ هو من الدعاء والدعاء لله تبارك وتعالى يكون في كل الأحوال . وقد روي عن الإمام أحمد - رحمه الله - أنه استدل بهذا الحديث على أن كلام الله عز وجل صفة من صفاته غير مخلوق، إذ لو كان مخلوقاً ما استعاذ به النبي ✕ .

الوقفة الخامسة :

من ترك الالتجاء إلى الله والاستعاذة به، ولجأ إلى غيره من الجن ونحوهم فقد وقع في أضرار عظيمة منها:

1 – **أنه قد يقع في الشرك والاستعاذة بغير الله عز وجل وهو شرك أكبر مخرج من الملة**، وهذا من أقبح الأمور وأشنعها .

2 - **عدم حصول المأمول من دفع الشرور** والتي لا يقدر عليها العبد ، وذلك أن المطلوب لا يحصل إلا إذا قدّر الله وقوعه ، فعليه من لجأ إلى الجن فلا يحصل لـه المطلوب إلا بإرادة الله سبحانه فليطلب ويستعيذ بالله مباشرة .

3 - **أن في الاستعاذة بغير الله زيادة الخوف** والهلع وعدم الطمأنينة والأمن ، إذ الأمن والطمأنينة لا تحصل إلا من الله عز وجل وبالعوامل التي وردت في الشرع، ومنها: قراءة القرآن ولا سيما المعوذتين وآية الكرسي والآيتين الأخيرتين من سورة البقرة، وكذلك ذكر الله وقوة التعلق به كلها عاصمة بإذن الله من شر المخلوقات كما في حديث الباب.

4 - **التخبط في الطرق المظلمة** التي يتنقل فيها هذا المسكين الذي يلتجئ إلى غير الله عز وجل ، فتراه يلتجئ تارة إلى القبور والأضرحة وتارة إلى الأشجار والأحجار وتارة إلى الجن والشياطين مما يظن أنه قادر على دفع الشرعية، وقد يلتجأ أخيراً إلى الانتحار بقتل نفسه والعياذ بالله ، أو إدمان المخدرات وقد ينتهي به الأمر إلى الجنون وتخريف العقل ، ولذا نجد كثرة المنتحرين في هذا العصر من الكفار نظراً لبعدهم عن الله

سبحانه .

13- بابٌ مِنَ الشِّرْكِ أَنْ يَسْتَغِيثَ بغيرِ اللهِ أَوْ يدعو غيرهُ

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالى: ﴿فَعَلْتَ فَإِن يَضُرُّكَ وَلَا يَنفَعُكَ لَا مَا ٱللَّهِ دُونِ مِن تَدْعُ وَلَا وَإِن هُوَ إِلَّا لَهُۥ كَاشِفَ فَلَا بِضُرٍّ ٱللَّهُ يَمْسَسْكَ وَإِن ﴿١٠٦﴾ ٱلظَّٰلِمِينَ مِّنَ إِذًا فَإِنَّكَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ وَهُوَ عِبَادِهِۦ مِنْ يَشَآءُ مَن بِهِۦ يُصِيبُ لِفَضْلِهِۦ رَآدَّ فَلَا بِخَيْرٍ يُرِدْكَ﴾ [يونس 106- 107].

وَقَوْلُهُ: ﴿چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک﴾ [العنكبوت: 17].

وَقَوْلُهُ: ﴿يَوْمِ إِلَىٰ لَهُۥ يَسْتَجِيبُ لَّا مَن ٱللَّهِ دُونِ مِن يَدْعُواْ مِمَّن أَضَلُّ وَمَنْ بِعِبَادَتِهِمْ وَكَانُواْ أَعْدَآءَ لَهُمْ كَانُواْ ٱلنَّاسُ حُشِرَ وَإِذَا ﴿٥﴾ غَٰفِلُونَ دُعَآئِهِمْ عَن وَهُمْ ٱلْقِيَٰمَةِ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: 5، 6].

وَقَوْلُهُ تَعَالى: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ ٱلسُّوٓءَ وَيَكْشِفُ دَعَاهُ إِذَا ٱلْمُضْطَرَّ يُجِيبُ أَمَّن ٱللَّهِ مَّعَ أَءِلَٰهٌ ٱلْأَرْضِ خُلَفَآءَ﴾ [النمل: 62].

وَرَوَى الطَّبَرانيُّ بِإِسْنَادِهِ؛ أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَانِ النَّبِيِّ ✕ مُنَافِقٌ يُؤْذِي المُؤْمِنِينَ، فَقَالَ بَعْضُهُم: قُومُوا بِنا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ الله ✕ مِنْ هذا المُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبيُّ ✕: «إِنَّهُ لا يُسْتَغَاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللهِ»[168].

---

[168]() أخرجه الطبراني في معجمه الكبير وأحمد (5/317). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (10/162): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة، وهو حسن الحديث.

الوقفة الأولى

شرح مفردات الباب:

(الاستغاثة) : هي طلب الغوث بإزالة الشدة التي حصلت للإنسان .

(الدعاء) : مجرد الطلب، والفرق بين الاستغاثة والدعاء أن الاستغاثة لا تكون إلا بإزالة الشدة في المكروب، والدعاء يكون عاماً سواء في حالة الشدة والكرب أو في عدمها.

(الظالمين): المراد بالظلم هنا الشرك؛ لأن الشرك أعظم الظلم، فمن دعا غير الله فقد أشرك.

(يمسَسْك) : أي يصبك .

(فابتغوا) : أي اطلبوا .

(غافلون): لا يشعرون بدعاء من دعاهم؛ لأنهم إما أموات أو جماد أو ملائكة مشغولون بما خلقوا لـه .

الوقفة الثانية :

بيّن المصنف - رحمه الله - أن الاستغاثة بغير الله شرك وأن دعاء غير الله شرك، وهذا الشرك المقصود به الشرك الأكبر؛ لأن الاستغاثة والدعاء مما يجب صرفه لله سبحانه، فأشرك هذا الصارف مع الله غيره، فمن صرف نوعاً من أنواع العبادة لغير الله فقد أشرك.

وعطف الدعاء على الاستغاثة من باب عطف العام على الخاص، وقد بيّن أن الاستغاثة طلب الغوث بإزالة الشدة فلا تكون إلا من المكروب، أما الدعاء فهو أعم لأنه يكون في المكروب وغيره، فبينهما عموم وخصوص مطلق؛ فكل استغاثة دعاء وليس كل دعاء استغاثة، والمراد تحريم الاستغاثة بغير الله وتحريم دعاء غيره من الأموات والغائبين، وأنهما من الشرك الأكبر .

الوقفة الثالثة:

الاستغاثة من حيث حكمها تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول: الاستغاثة الواجبة وهي التي تطلب من الله وحده لا شريك لـه، فهي عبادة يجب صرفها لله سبحانه.

القسم الثاني: الاستغاثة الجائزة وهي الاستغاثة بالحي الحاضر القادر على نصرة المستغيث وهذا مثل الغريق الذي يستغيث بشخص ينقذه من الغرق وهو قادر على ذلك، فهذه استغاثة جائزة .

القسم الثالث: الاستغاثة المحرمة وهي الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ مثل الاستغاثة بالأموات أو الغائبين، فهذه استغاثة محرمة بل هي شرك أكبر كما سبق.

أما الدعاء فهو نوعان:

النوع الأول: دعاء عبادة وهو التقرب إلى الله جل وعلا بالأعمال الصالحة كالتقرب إلى الله بالصلوات هو من الدعاء، وكذلك التقرب إلى الله بالأذكار وبالثناء عليه، كل ذلك من الدعاء، وكذلك الصيام وغيرها من الأعمال الصالحة تدخل في معنى الدعاء العام وهو دعاء العبادة .

النوع الثاني: وهو المعنى الأخص وهو دعاء المسألة بأن يطلب أن يرفع عنه ضراً أو يجلب لـه نفعاً، فإن كان هذا الدعاء لله فهو أمر عبادي مشروع، بل هو مندوب إليه والله سبحانه حث عليه وحث عليه رسوله ﷺ .

فالداعي يسأل ربه شيئاً من أمور الدنيا كالخير والرزق والأمن، أو يسأله سبحانه أمراً من أمور الآخرة من المغفرة ودخول الجنة وهو أعظم .

فإذا كان هذا الدعاء لغير الله فهو شرك أكبر؛ لأنه صرف نوعاً من أنواع العبادة لغيرا لله كمن يدعو الأموات والأضرحة فيقول: يا سيدي فلان اشفِ مريضي ويا ولييّ فلان ارزقني، فهذا شرك أكبر نعوذ بالله من الضلال .

الوقفة الرابعة:

حكم الاستغاثة بالرسول ﷺ :

تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول: ما كان في حياته ويقدر عليه صلوات الله وسلامه عليه فهذه استغاثة جائزة ، أما إذا كان لا يقدر عليها الرسول عليه الصلاة والسلام وإنما يقدر عليه الله سبحانه فهذه في الشرك، ولذلك قال ﷺ : (**إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله**) .

القسم الثاني: الاستغاثة بالرسول ﷺ بعد مماته فهذه استغاثة محرمة لأنه ﷺ بعد مماته لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فضلاً أن يملك لغيره، فإذا كان هذا في حق رسول الله ﷺ فغيره من باب أولى. بصّر الله تعالى الجميع بالحق والعمل به .

14- بابُ قَوْلِ اللهِ تَعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝١٩١ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ۝١٩٢﴾ [الأعراف: 191- 192].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣﴾ ک ک
ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳڳ ڱ ڱ ڱ ڱں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ﮩ [فاطر: 13].

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: شُجَّ النَّبيُّ ✖ يَوْمَ أُحُدٍ وَكُسِرَتْ رُبَاعِيَّتُهُ فَقَالَ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ» فَنَزَلَتْ: "لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ"(169)

169() أخرجه البخاري معلقا (ص772) في كتاب: المغازي، باب ﴿ ﴾ ومسلم (رقم 1791).

[آل عمران: 128].

وَفِيهِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رضي اللهُ عنهما - أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ✕ يَقُولُ إِذا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكوعِ فِي الرَّكْعَةِ الأَخِيرةِ مِنَ الفَجْرِ: «اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلاناً وَفُلاناً»، بَعْدَ مَا يَقُول: «سمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ». فَأَنْزَلَ اللهُ: " لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ "[170] وَفِي رِوَايةٍ : يَدْعُو على صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو وَالْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، فنزلتْ: "لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ"[171].

وَفِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنْهُ قَال: قَامَ رَسُولُ اللهِ ✕ حِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ: "وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ " [الشعراء: 214]. فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ – أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا – اشْتَرُوا أَنْفُسَكُم، لا أُغنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً، يَا عَبَّاسُ بْنِ عَبْدِ الْمطَّلِبِ، لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئاً، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ ✕ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئاً، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ، لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شيْئاً»[172].

الوقفة الأولى

شرح مفردات الباب:

(قطمير) : القطمير هو اللفافة الرقيقة التي تكون على النواة .

(ولا ينبئك مثل خبير): معناه أنه لا يخبرك بالخبر مثل خبير به والخبير العالم ببواطن الأمور.

(شج): الشج الجرح في الرأس وفي الوجه خاصة .

(الرباعية) : هما الأسنان اللذان يليان الثنايا.

(العشيرة) : عشيرة الرجل هم بنو أبيه .

(الأقربين): يعني الأقرب فالأقرب.

(اشتروا أنفسكم): أي خلصوها من العذاب بتوحيد الله وطاعته فلا تعتمدوا على قرب نسبكم مني وعلى شرف نبيكم بين العرب.

الوقفة الثانية :

لما ذكر - رحمه الله - الاستعاذة والاستغاثة بغير الله ذكر في هذا الباب البراهين الدالة على بطلان عبادة ما سوى الله لكي يجتنبها المسلم.

الوقفة الثالثة:

---

[170]() أخرجه البخاري (رقم 4069).

[171]() أخرجه البخاري مرسلاً عن سالم بن عبد الله بن عمر (رقم 4070)، وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (7/366): والثلاثة الذين سماهم قد أسلموا يوم الفتح، ولعل هذا هو السر في نزول قوله تعالى: ﴿ ﴾.

[172]() أخرجه البخاري (رقم (2753) ومسلم (رقم 206).

مع قولـه تعالى: ﴿**أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ**﴾ [173] .

في هاتين الآيتين ذكر سبحانه البراهين الدالة على بطلان عبادة غير الله **وهذه البراهين هي:**

1 - "ما لا يخلق شيئاً" أنهم لا يقدرون على الخلق.
2 - "وهم يُخلقون" أن هؤلاء المعبودين مع الله مخلوقون أصلاً فكيف يخلقون غيرهم.
3 - "لا يستطيعون لهم نصراً" أنهم لا يستطيعون نصر من عبدوهم.
4 - "ولا أنفسهم ينصرون" أنهم لا يستطيعون أن ينصروا أنفسهم فضلاً عن أن ينصروا غيرهم.

الوقفة الرابعة :

مع قولـه : ﴿**وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ* إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ**﴾ [174] .

بين الله تعالى في هاتين الآيتين أن هؤلاء المدعوين من دون الله لهم صفات تجعلهم لا يستحقون العبادة وهذه الصفات هي:

1 - لا يملكون أدنى شيء حتى لو كان قطميراً .
2 - أنهم لا يسمعون دعاءكم إما لأنهم أموات أو ملائكة مشغولون بما يؤمرون به. وعلى فرض أنهم سمعوا دعاءكم لا يستجيبون لكم .
3 - أنهم يوم القيامة يكونون لكم أعداء ويكفرون بشرككم.

الوقفة الخامسة :

مع حديث أنس ﷺ : شج النبي ﷺ يوم أحد وكسرت رباعيته..." الحديث.

وحديث ابن عمر رضي الله عنهما "أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع" الحديث، وحديث أبي هريرة ﷺ قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه "وأنذر عشيرتك الأقربين" فقال ...) الحديث.

هذه الأحاديث الثلاثة فيها دلالة أن النبي ﷺ لا يملك أن يدفع عن نفسه الضر ولا يملك نفع أقرب الخلق إليه وأقرب الناس إليه، فالبشر كلهم محتاجون إلى الله، يقول الله عز وجل على لسان رسوله ﷺ : ﴿**قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرّاً إِلا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ**

---

[173] () **سورة الأعراف ، الآية (191-192).**
[174] () **سورة فاطر ، الآية (13-14).**

مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[175] .

فعلى الإنسان أن يلجأ إلى الله ولا يشرك معه غيره، فيتجه إلى الله وحده بالدعاء ويطلب الرزق منه وتيسير الأمور لـه فإن الأمر كله لله .

ويستفاد من الأحاديث أن الإنسان لا يدعو على من ألحق به الضرر ويلعنه ويشتمه وإنما يقول: اللهم اكفنيه بما شئت، فيجعل الأمر لله سبحانه .

الوقفة السادسة :

يقع بعض الناس ممن ينتسب للإسلام في التقرب للأولياء والصالحين، فبيّنت الآيات الكريمة أنه لا يملك النفع والضر إلا الله، وأن الذين يدعون من دونه سواء كانوا أولياء أو صالحين أو غيرهم لا يستطيعون نفع أنفسهم فكيف ينفعون غيرهم.

ثم إذا كان رسول الله ﷺ وهو أفضل الخلق عند الله لا يملك من الأمر شيئاً فغيره من الأولياء والصالحين من باب أولى .

وعليه فيجب على المسلم أن يتجه إلى الله تعالى وحده لا شريك لـه، وقد أمر الله تعالى بذلك ، وهو قريب سبحانه قال تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾ [البقرة: من الآية186] الآية .

وقال سبحانه : ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ [غافر:60]

---

[175] () سورة الأعراف، الآية (188).

15- بابُ قَوْلِ اللهِ تَعالى: ﴿رَبُّكُمْ قَالَ مَاذَا قَالُواْ قُلُوبِهِمْ عَن فُزِّعَ إِذَا حَتَّىٰ ﴿٢٣﴾ ٱلْكَبِيرُ ٱلْعَلِيُّ وَهُوَ ٱلْحَقُّ قَالُواْ [سبأ: 23].

في الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبيِّ ✕ قَالَ: «إِذَا قَضَى اللهُ الأَمْرَ في السَّمَاءِ ضَرَبَتِ المَلائِكَةُ بِأَجْنحتِهَا خُضعاناً لِقَوْلِهِ كأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوانٍ يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ. ﴿ٱلْحَقُّ قَالُواْ رَبُّكُمْ قَالَ مَاذَا قَالُواْ قُلُوبِهِمْ عَن فُزِّعَ إِذَا حَتَّىٰ ٱلْكَبِيرُ ٱلْعَلِيُّ وَهُوَ﴾. فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ، ومُسْتَرِقُ السَّمْعِ هكذا بعضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ». وَصَفَهُ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ فَحَرَّفَها وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ: «فيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَيُلْقِيها إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيها الآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّى يُلْقِيها عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الكَاهِنِ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَهُ الشِّهابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقيها، وَرُبَّما أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ فَيَكْذِبُ مَعَهَا مائةَ كذْبَةٍ. فيُقالُ: أَلَيْسَ قَدْ قال لنا يومَ كَذَا وَكَذا: كَذا وَكَذا. فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّماءِ»[176].

وَعَنِ النَّواسِ بْنِ سمْعَانَ - رضي اللهُ عنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ✕: «إِذَا أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يُوحِيَ بالأَمْرِ تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ أَخَذَتِ السَّمَواتِ مِنْهُ رَجْفَةٌ» أَوْ قَالَ: «**رَعْدَةٌ شَدِيدَةٌ خَوْفاً مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهْلُ السَّمَواتِ صَعِقُوا وخَرُّوا لِلـهِ سُجَّداً، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَه جِبْرِيلُ فَيُكَلِّمُهُ اللهُ مِنْ وَحْيِهِ بما أَرَادَ. ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرِيلُ عَلَى المَلاَئِكَةِ. كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلَهُ مَلائِكَتُهَا مَاذا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ؟ فَيَقُولُ جِبْرِيلُ: قَالَ الحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ. فَيَقُولُونَ كُلُّهم مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرِيلُ. فَيَنْتهي جِبْرِيلُ بِالْوَحْي إِلَى حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ**»[177].

الوقفة الأولى

شرح مفردات الباب:

(الفزع) : الخوف المفاجئ .

(خضعاناً): أي خضوعاً.

---

[176] () **أخرجه البخاري (رقم 4701).**

[177] () **أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (رقم 206) وابن أبي عاصم في السنة (رقم 515).**

(صفوان): هو الحجر الأملس الصلب، والسلسلة عليه يكون لها صوت عظيم.

(ينفذهم ذلك) : النفوذ هو الدخول في الشيء، ومنه نفذ السهم في الرمية أي دخل فيها.

(وصفه سفيان بكفه): أي أنها واحد فوق الثاني أي الأصابع.

(الشهاب): هو جزء منفصل من النجوم ثاقب قوي ينفذ فيما يصطدم به .

الوقفة الثانية :

هذا الباب الذي سماه المؤلف : "باب قول الله تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ**﴾ الآية ، يحكي عظمة الله عز وجل بذكر البراهين الدالة على أنه لا يستحق أحد أن يكون شريكاً مع الله جل وعلا .

كما يذكر طريقة استراق الجن لخبر السماء وكيفية معاقبة الله لهم، وكيف يؤدون ما استرقوه إلى السحرة والكهنة بعد أن يكذبوا معها مائة كذبة، ومن ثمَّ يخبر بها الساحر أو الكاهن من عنده من الناس فيتأثر الناس بهم ويخافون منهم ويصدقون أخبارهم، فهؤلاء الناس لديهم نقص في التوكل على الله ونقص في التوحيد ، فأراد المصنف - رحمه الله - أن يبين أنه مهما أتى به الكهان والسحرة مما استمعوه من الجن فهو ليس بصحيح وسيأتي بيان ذلك.

الوقفة الثالثة:

مع قوله تعالى : ﴿**حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**﴾ (178) .

المراد هنا: أن الله سبحانه إذا قال قولاً فزع منه أهل السماوات وهم الملائكة عليهم السلام ، فالملائكة شديدو الخوف من الله عز وجل، وذلك لأنهم إذا سمعوا كلام الله صعقوا وفزعوا ثم يسألون : ماذا قال ربكم ، قالوا الحق .

ثم ذكر سبحانه وتعالى صفة العلو وصفة الكبير لمناسبتها لهذا المقام لأن المجال والمقام هو مقام علو لله سبحانه . ولا شيء أكبر من الله تعالى .

فيستفاد من الآية:

1 - إثبات أن الملائكة تخاف من الله عز وجل لقوله سبحانه: چ پ پ ٻ ٻ ٿچ[سبأ: ٢٣].

2 - إثبات صفة العلو لله جل وعلا .

---

(178) سورة سبأ، الآية (23).

3 - إثبات صفة الكلام لله سبحانه چ ٹ ٹ ٹ ٹ چ [سبأ: ٢٣]. وأن كلامه حق. وإثبات الصفتين لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته سبحانه من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف .

4 - إثبات أن للملائكة قلوباً وعقولاً يفهمون بها [179].

الوقفة الرابعة:

مع قولـه ﷺ في حديث أبي هريرة ﷺ : **(إذا قضى الله الأمر في السماء...)**.

هذا يفصل شيئاً مما ذُكر في شرح الآية السابقة .

قال ﷺ : **(إذا قضى الله الأمر في السماء)** أي إذا تكلم الله في الأمر في السماء يوحيه إلى جبريل وحينئذ تضرب الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله جل وعلا ، وهذا دليل على خضوع الملائكة لله سبحانه هيبة منه.

وقوله: **(كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك)**. في هذا تشبيه ما يحصل للملائكة من الخضوع بأجنحتها عندما تسمع كلامه عز وجل كأنه سلسلة من الحديد إذا سقطت على صفوان وهو الحجر الأملس - كما سبق معناه - فيصدر لها صوت .

فهذا الكلام يبلغ الملائكة ، قال: "فينفذهم ذلك" يعني ينفذُ القول الملائكة فيهم حتى يفزعوا منه فإذا ذهب الفزع انتبهوا چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ چ[سبأ: ٢٣] .

وهنا يأتي دور الجن مسترقي السمع حيث يكون بعضهم فوق بعض حتى يصلوا إلى السماء فآخرهم يسمع هذه الكلمة فيلقيها إلى من تحته وهكذا حتى يلقونها على الأخير، فإذا هي ملئت مائة كذبة مع ما سمعوه من كلام الملائكة، ومن ثم تلقى على الساحر أو الكاهن، وبعد بعثة محمد ﷺ عاقبهم الله عز وجل بالشهب المحرقة فقد يدركهم قبل أن تلقى على الساحر والكاهن وقد لا يدركهم، فيكذب معها الساحر والكاهن مائة كذبة، فيتناقل الناس ذلك، فقد يصدق خبره لأنه أمر جاء من السماء ولكن نسبة هذا الخبر الصادق بالنسبة لما يخبر به الساحر من الأخبار واحد من مائة، ومع هذا تراهم يصدقونه بهذا الخبر الواحد ويتناسون تلك الأخبار المكذوبة ، وتجد هذا كثيراً في المجتمعات التي يقل فيها الدين والعلم ويعم فيها الجهل ، فيقال: فلان يعلم الغيب وأخباره صادقة وهكذا .

الوقفة الخامسة:

مع حديث النواس بن سمعان إذا أراد الله أن يوحي بالأمر" الحديث.

في هذا الحديث بيان لأمر مهم وهو عظمة كلام الله عز وجل عندما

---

[179] () **ينظر: القول المفيد (1/309).**

يلقى على جبريل عليه السلام وعلى عامة الملائكة .

قولـه "تكلم الوحي" فيه إثبات لصفة الكلام لله عز وجل . وقولـه : **(أخذت السماوات منه رجفة أو قال رعدة شديدة خوفاً من الله)** فالسماوات على عظمتها وكبرها وعددها وما فيها من مخلوقات ترتجف لكلام الله .

والرجفة والرعدة كلها بمعنى واحد.

والحديث يدل على خوف الملائكة وأنهم جند من جنود الله مطيعون لـه لا يعصونه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون. وقولـه **(فيكون أول من يرفع رأسه جبريل)** هذا دليل على فضل جبريل عليه السلام على سائر الملائكة عليهم السلام .

وقوله : **(فيكلمه الله من وحيه بما أراد ثم يأمر جبريل على الملائكة كلما مرّ بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول: قال الحق)** فيه أيضاً دليل على أمانة جبريل حيث إنه لم يخبرهم بما أوحي لـه وأيضاً ينتهي بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل.

قولـه "أمره الله عز وجل" فيه إثبات العزة والجلال لله سبحانه .

الوقفة السادسة:

من أخطاء الناس في هذا الباب.

من الناس من يتردد على هؤلاء السحرة والكهنة ومدعي الغيب ظناً منهم أن عندهم شيئاً من علم الغيب حتى يعرفوا ما غُيب عنهم في المستقبل .

وقد تبين من خلال وقفات هذا الباب كيفية وصول العلم لهذا الساحر أو الكاهن، ولو كان يعلم الغيب حقيقة لماذا لا يسترق الأخبار لنفسه؟! فعندما يقبض على أحد هؤلاء الكذابين يقتل أو يجلد أو يسجن فلماذا لم ينفع نفسه قبل أن ينفع غيره؟! .

وعندما يدعي أن المنطقة الفلانية سترتفع أسعارها أو نحو ذلك فلماذا يخبر غيره ولا يسارع هو لشراء هذه الأرض المزعومة؟!، ولو فتشت عن حاله لوجدته يسكن الأماكن القذرة التي لا تنبئ بآدميته فضلاً عن أن يكون من أعالي الناس فلِمَ لا ينقذ نفسه من هذه الأماكن ويسكن أعالي القصور؟! فعجباً من أولئك الذين يترددون على هؤلاء الذين لم ينفعوا أنفسهم حتى ينفعوا غيرهم!! فعلى المسلم أن يتجنب هؤلاء السحرة والكهان والمشعوذين، وأن يلجأ إلى الله تعالى في كل أموره فيسلم دينه ودنياه وآخرته.